مجلـة التطوير العلمي للدراسات والبحوث
Journal of Scientific Development for Studies and Research (JSD)
المجلد الثالث، العــدد: 10 (2022)، Volume 3, Issue 10

الثوابت والمتغيرات في منظومة القيم الإسلامية للأسرة ومواجهة التحديات العصرية (68–93)

أ.د: عبد الرحمن عبد الله سليمان الأغبري، جامعة أديامان–تركيا

Constants and variables in the Islamic values system for the family and facing modern challenges

Prof.Dr. Abdulrahman Al-aghabri

adiyaman-university, abdurr6363@gmail.com

ملخص:

يركز البحث على عرض ما أمكن مما حواهُ الوحي؛ القرآن والسنة النبوية على صاحبها أزكى الصلاة والتسليم فيما يخص الجانب القيمي الموجّه للأسرة المسلمة كثوابت شرعية وكمنظومة قيم متكاملة للحفاظ على كيان الأسرة وتماسك بنيانها، وفي الوقت نفسه يبرز الجانب السلبي للمتغيرات العصرية الذي قد تكون سببًا رئيسًا في تصدع هذا البنيان.

كلمات مفتاحية: القيم الإسلامية، الأسرة، الثوابت، المتغيرات، وسائل التواصل الاجتماعي.

Abstract:

The research focuses on presenting as much as possible what was contained in the revelation; The Qur'an and the Sunnah of the Prophet's Mohammed peace be upon him regarding values-oriented to the Muslim family as legitimacy constants and an integrated values system to preserve the family's entity and coherence of its structure.

At the same time, it highlights the negative side of modern variables, which may be a prime cause of cracking this structure.

Keywords: Islamic values, Family, Constants , modern variables, social media.

المقدمـــــة:

تعتبر الأسرة المحضن الأول للطفل ومدرسته التي يتلقى فيها معلوماته الأولية، وتربيته، وثقافته، وقيمه، ومع ذلك لا يسلم الفرد من المؤثرات التي يتعرض لها خارج نطاق الأسرة ولو كان في البيت ضمن ما نتعرض له نحن جميعا _ ولا أستثني أحدًا إلا من رحم الله _ من زخٍّ كمٍّ هائلٍ من معلومات شتى عبر وسائل التواصل الاجتماعي، وتتحمل الأسرة – متمثلة بالأبوين – مسؤولية عظيمة وخطيرة تجاه أفرادها وعلى الأخص الأبناء، وينبغي على الأبوين أن يكونا على حذر شديد مما يتلقاه الأطفال من معلومات وثقافة وقيم تُغرس تباعًا من أول يوم يدخل فيها أطفالهم المدرسة، بل من قبل تلك المرحلة العمرية الخطيرة، ففي هذه المرحلة لاشك أن الطفل يتلقّى كمًّا هائلا يصب عليه من كل جانب مصاحب لما يتلقاه من الأسرة من قيم، وتربية، وتهذيب وحِكم ومُثل إسلامية.

وإذ تتمتّع الأسرة المسلمة بثوابت قيمية تستمدها من تعاليم الإسلام تعاليم القرآن الذي " يهدي للتي هي أقوم "، وتتخذ من هذه التعاليم منهجًا ثابتًا، وقيما تترسخ داخل الكيان الأسرى المتكامل، كالصدق والحياء والعفة والأمانة وحسن الخلق، إلا أنّ هناك متغيرات طرأت جرّاء التقنيات الجديدة والفضاء المفتوح، وإذ يرخي الأبوان في كثير من الأحيان العنان لأبنائهم ليتحركوا بشيء من الحرية في ممارسة أنشطتهم وهواياتهم الفكرية والجسدية والنفسية، وفي هذه الحالة عليهم ألا يغفلوا عنهم باتخاذ مجموعة من التدابير الوقائية حيال ثورة الاتصالات التي أحدثت زلزلة في ثوابت العقيدة وخللاً في القيم والثقافة والتفكير في الشأن المجتمعي والأسري. هذا ما سوف نعالجه في دراستنا " الثوابت والمتغيرات في منظومة القيم الإسلامية للأسرة". وعليه فقد قسمت الموضوع إلى مبحثين رئيسين، تحت كل مبحث مطلبان تحت كل مطلب فروع، وقد جاء التقسيم على النحو التالي: مقدمة وتشمل أهمية البحث والهدف والأسباب والمشكلة التي ستعالج من خلال البحث، وخطة البحث كما هي مبينة في الأسفل.

أهمية البحث:

تتجلى أهمية البحث بتسليط الضوء على منظومة القيم الإسلامية، حيث تعمل على تشكيل الوعي لدى أفراد الأسرة المسلمة من خلال نصوص الوحيين؛ القرآن الكريم والسنة النبوية على صاحبها الصلاة والسلام – فتصبغها بثوابت الشريعة الإسلامية، وتحليها بما يتيح لها من حركة مرنة في التعامل مع المتغيرات العصرية بما لا يخالف الثوابت الشرعية، والقيم الراسخة فتظهر الأسرة المسلمة بمظهر جميل يلبس أفرادها ثوبَ الحياء ويتجملون بقيم أخلاقية تميزها عن غيرها من الأسر.

أهداف البحث وفيه نقاط:

1-إبراز بعضٍ من القيم الأسرية التي أشار إليه القرآن والسنة النبوية والكشف عن المتغيرات العصرية في القيم الأسرية وموقف الأسرة المسلمة منها.

2- إبراز الفوائد التي يجنيها المسلم من تمسكه بهذه النصوص حينما يعرف أهميتها وفوائدها. فقد وضع الشرع لها أسسًا وأركانًا تحفظ لها كيانها وتماسكها، والحفاظ على هذه الأسس والتمسك بها حفاظ على المجتمع من الانهيار والشتات والضياع.

3- بيان هشاشة ما تدعو إليه أدوات العولمة من ضرورة التغيير -بزعمهم – نمط الأسرة تقليدي واستبداله بنمط جديد ضرورة للتطوير والتغيير..!

أسباب اختيار البحث:

الانحدار الملحوظ في كثير من الأسر المسلمة، والتفكك والانهيار الذي تعيشه هذه الأسر، وما نجم عن ذلك من عوامل سلبية؛ نفسية وصحية وجسدية وتشرذم للأفراد وضياع حقوق على المستوى العام والخاص. وربما فقد الأطفال الرعاية والاهتمام واستُلِب أمنهم فلبسوا ثوب المهانة والذل في مجتمعهم، ومن ثم خيبة أمل تعمهم على نطاق الأسرة والمدرسة والبيئة.

مشكلة البحث:

إن إصرار الإرادة الدولية المتمثلة في النظام العالمي الجديد على تغيير نمط الأسرة المسلمة لهو أهم مشكلة تدعوني وأمثالي ممن تعرض للخوض في حل هذه المعضلة.

منهجية البحث: اتبع الباحث المنهج الوصفي التحليلي.

المبحث الأول

منظومة القيم الإسلامية لبناء أسرة متماسكة

ويتضمن عدة مطالب:

المطلب الأول

نموذج للقيم الإيجابية التي تمثل الأساس في الحفاظ على كيان الأسرة

ويندرج تحته فروع:

تتحمل الأسرة الدور الأهم في غرس قيم الناشئة والشباب، فهي المؤسسة الأولى والأهم في إخراج جيل صالح في مجتمعه إن هو تلقى التربية والعقيدة الموجهة لفكره على أسس سليمة ومتينة.

فإذا كان الغرب بما يملك من الجانب المعرفي والتقني قد تم اختراقه في كافة مؤسساته وبالأخص المؤسسة الاجتماعية فانهارت لديه الأسرة وتفككت أوصالها في جل مجتمعاتهم، فهذا نذير شؤم لنا وحافز قوي على ألا نفرط بقيمنا الأسرية وضرورة التمسك بها وأن نعمل بجد واقتدار على مدى ساعات الليل والنهار للحفاظ على أولادنا وغرس كل قيمة من شأنها رفع مستوى الحصانة الفكرية والوقوف بقوة أمام الغزو الثقافي والاجتماعي بأدواتٍ لا قبل لنا بدفعها إن هي تمكنت منا.

إنها أذرع العولمة ومؤسساتها خاصة وأنها بحسب تعريفات العولمة تحرص على تعميم نماذجها ومنها النموذجين الثقافي والاجتماعي على كافة المستوى العالمي[1] ، وقد نجحت إلى حد كبير وهي تسعى بكل ما تملك من أدوات العولمة وما تملكه من رأس مال ضخم وإعلام يجوب الفضاء لاختراق حصن المجتمعات ومنها الإسلامية لاختراق حصنها الأخير (أي الأسرة).

إن الفضاء المفتوح والإعلام الرخيص – جندي العولمة المارد والمتمرد – لا يحجزه شيء في الوقت الراهن، فهو يملك قوة إعلامية خارقة مكنته من دخول كل بيت فتسلل إلى كل مخدع. وعلينا ألا نتهاون في صده بما نملك من قيم مثلى نغرسها في النشء حالاً بعد حال ونشد على أيدي القائمين على المؤسسات التعليمية بدئًا من الحضانة وحتى المراحل العليا للتعليم العالي ونجعل من تدريس القيم وتمثلها قوة ردع حاضرة في كل فصل دراسي إن نحن نريد النصر، وأن يعمم ذلك على المؤسسات الحكومية والمهنية لغرس قيم الأخلاق الفاضلة ونجعل همنا وشغلنا الشاغل تتميم الأخلاق فهي جوهر رسالة الإسلام وزبدتها.

وقبل البدء بالفروع أطرح سؤالاً جد مهم وخطير في قضية القيم ومرجعية القيم، من الذي يمتلك المرجعية المثلى للقيم الحقيقية؟ ومن ثَمَّ من يستطيع نشرها؟ ثم تعميمها على الناس كافة؟ هل من يمتلك القوة يحق له نشر ما يؤمن به من قيم مهما كانت في نظر الآخرين؟ أو تفرض على المجتمعات بدعوى النظرية النسبية[2] التي افتُرِضت وتكاد أن تطرح على أنها حقيقة، وروّجت لها أقلام الإلحاد ومن ثم النظر للقيم بمنظار النسبية؟ فمن نتبع إذًا؟ أنتبع من يهدي للحق أم نتبع من لا يهدِّي إلا أن يهدى، قال تعالى: ﴿ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّي إِلَّا أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾ [سورة يونس آية 35] إذن من الأَوْلى بالاتباع: من يهدي إلى الحق وإلى صراطٍ مستقيم، قال تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[سورة المؤمنون آية 73] أم من يمشي مكبًّا على وجهى لا يهدي حتى نفسه إلى الصواب فكيف بهداية غيره، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [سورة التوبة : آية 119].

لقد كانت الأسرة المسلمة تتولى تربية أبنائها في محيط آمِنٍ مِنَ المؤثرات الخارجية نوعا ما، فلا عناء إذ ذاك ولا متاعب تذكر كما هو الحاصل اليوم حيث أضحت المؤثرات الخارجية والمتغيرات المتسارعة المتمثلة بتقنيات وسائل الاتصال الحديثة والأجهزة الذكية تنخر في أبناء الأمة شبابًا وشبّانًا وكهولاً وصغارًا ورجالاً ونساءً، لتشكيل الوعي وتسطيحه، فغدت هذه الوسائل ملازمة للشباب الذين باتوا لا يكترثون لشيء سوى ما يجمل أجسادهم ويحسن كمالياتهم، مهووسون بـ: (ثقافة الاستهلاك) بحسب إرادة وإدارة نظام العولمة، و أضحت هذه المؤثرات بالغة الخطورة على قيم الأمة الإسلامية كافة تتركز بشكل أعظم خطرًا على شريحتي النشأ والشباب ومن يتولى مهام تربيتهما، ولقد كانت الأسرة قبل هذا الأوان تتمتع بقيم راقية جرّاء التربية الآمنة فحفظت الأسرة وحافظت على سلوكيات أبنائها، وخرّجت أجيالاً صالحين أفادوا أنفسهم ومجتمعاتهم، أما اليوم فإن النظام العالمي الجديد أو ما بات يعرف بالعولمة تعمل معاوله ليل نهار للنيل من قيم الأسرة وهدم بنيانها وتصديع أركانها وتعمل جاهدة على أن تحرف أبناء الأمة عن خط الأمان وعن ما يضمن لها ديمومتها. ولأجل ذلك ينبغي ان نتنبه وأن نحافظ عليها ببذل أقصى الجهود وغرس القيم النبيلة التي هي

[1]- الأغبري، عبد الرحمن عبد الله سليمان، العولمة وخطرها على الأمة الإسلامية من الناحية السياسية والثقافة والاجتماعية، دراسة استقرائية وصفية تحليلية، مكتبة جزيرة الورد، ومكتبة المنصورة (ط/1 2007م، ص 30)، ومبارك عامر بقنه، مفهوم العولمة ونشأتها، مقال في مكتبة صيد الفوائد لإلكترونية،http://www.saaid.net/

[2] – انظر الرد على القائلين بنسبية الأخلاق، فتوى على هيئة مقال في موقع طريق الإسلام Islam way.net بتأريخ 29-9-2020م.

بمثابة الحارس الأمين والحصن الحصين لبقاء الأسرة صالحة وخلق مجتمع نظيف، وتتمثل هذه القيم بالإيمان والعفة والصدق والمحبة وغير ذلك مما سنبينه في الفروع التالية.

الفرع الأول: قيمة الدين (التربية على الإيمان) كمصدر روحي هام في تربية أفراد الأسرة عليها:

لا شك أن للدين أثرًا بالغًا على الأسرة، ويظهر هذا الأثر من الاختيار الأول لبناء المؤسسة الأسرية والتي تكون لبنة في المجتمع لها من الأثر الطيب مالها، فإن كان الإسلام قد رغب في الزواج وجعله من سنن المرسلين، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً ۚ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ [سورة الرعد: 38]وندب بعد ذلك إلى تسهيل تزويج الأيامى من الذكور والإناث ممن يرغبون في النكاح كعلاج فعال لصرف المجتمع عن الفاحشة والعهر والزنا والخنا، قال تعالى: ﴿ وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [سورة النور: 32] كما رغب الإسلام بالزواج وحث الشباب عليه مع ذكر العلة الظاهرة فيه، ففي الحديث: "يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوج؛ فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج"[(3)] وحث الرجلَ أن يختار الزوجة الصالحة المؤمنة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال النبي ﷺ : "فاظفر بذات الدين تربت يداك"[(4)]، وفي الوقت نفسه حث المرأة أن تختار الرجلَ الصالح كزوج لها وأب لأولادها لقوله ﷺ: "إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه"[(5)].

إن هذا الاختيار يضمن – في العموم – للأسرة ديمومة الحياة في جوٍّ من المودة والألفة والرحمة، القائمة على جوهر الأخلاق، قال الله تعالى: {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} [(21) سورة الروم] .

إن الدين والإيمان من أهم الأسس التي تقوم عليه الأسرة، ومن أهم أسباب تماسكها، وعلى أساس من الدين يتولى الأبوان تربية أولادهما مع رفدهم بما تقوم عليه الأسرة من عادات وتقاليد وأعراف وقواعد ومبادئ وسلوكيات وحتى موروثات مهنية وترسيخ قيم ضابطة للسلوكيات والتصرفات.

---

(3) – القشيري النيسابوري، مسلم بن الحجاج أبو الحسن (المتوفى: 261هـ) المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت عدد الأجزاء: 5 [ترقيم الكتاب موافق للمطبوع، وهو ضمن خدمة التخريج، ومتن مرتبط بشرح النووي والسيوطي] مسلم، كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ووجد مؤنة، (3464).

(4) – محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) الطبعة: الأولى، 1422هـ ، (5090)، ومسلم (1466)

(5) – محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: 279هـ) سنن الترمذي تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ 1، 2) ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ 3) وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ 4، 5) الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر الطبعة: الثانية، 1395 هـ – 1975 م عدد الأجزاء: 5 أجزاء [ترقيم الكتاب موافق للمطبوع. باب ما جاء إذا جاءكم من ترضون دينه فزوجوه، ص387 المكتبة الشاملة الحديثة،الرابط: https://al-maktaba.org/book/33754/1882#p1 ، و ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (المتوفى: 273هـ) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي الناشر: دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي عدد الأجزاء: 2 المكتبة الشاملة الحديثة، ص632 سنن ابن ماجه باب الأكفاء، وغيرهما ولكنه ضعيف إلا أن معناه يتفق مع ما جاء في الشريعة، والإشارة في الحديث السابق واضحة.

فبالدين وشيءٍ من العادات والأعراف تنضبط الحقوق والواجبات والقيم والأخلاق. وعلى هذا الأساس تبنى العلاقات البينية لدى أفراد الأسرة وعليها يتم التعامل مع غير الأسرة من الأقرباء وغيرهم، فإذا ما رسخت هذه القيم والقواعد والتزمها الأفراد على أنها قوانين وضوابط وأخلاق يجب الالتزام بها، صارت ثوابت بين أفرادها؛ وساد الأمانُ والسلامُ والوئامُ والمحبةُ[6].

ومن أهم القيم والثوابت التي يجب على الآباء غرسها في الأبناء من خلال السلطة الأسرية على سبيل المثال: الحب والتسامح وصلة الأرحام والحياء والعفة والأمانة والإحسان والصدق والتعاون والتفاهم والاحترام والألفة والرحمة والمودة، وتعزيز قيم النجاح والثقة بالنفس والاستقلالية المنضبطة وحب العلم[7]. وكذلك تحذيرهم مما نهى الإسلام عنه وترك ما يضد ذلك من سفاسف الأخلاق والرذائل، كالاستبداد والعناد والتحدي والتفلت وما عدى ذلك من السلبيات التي تودي بالأسرة وتصدع أركانها وتهدم أسسها، على أن يتمثل الآباء تلك القيم في حياتهم السلوكية وتصرفاتهم اليومية وأن يكونوا أسوةً حسنةً ونموذجًا واقعيًّا ورائعًا لأبنائهم[8].

وبالجملة فقد أرشد الإسلام إلى كل خلق حميد ونهى عن كل خلق سيء، فإذا ما التزم أفراد الأسرة بما كُلِّفوا به من عبادات وقيم أخلاقية؛ فإن ذلك يعود حتما بالنفع على أفراد الأسرة في حياة هادئة وسكينة عامة وطمأنينة تنساب بينهم جميعًا، ثم لا يفتأ ذلك النفع أن يعم أفراد المجتمع الذي هو في الحقيقة مجموع من الأسر. فبذلك يحل في المجتمع السلام والوئام وتنحسر فيه الأخلاق السيئة وتكاد تنعدم أسباب الخصام، وقد شرع الإسلام للناس كافة الأحكام والتشريعات التي لو عملوا بها لجلبت لهم السعادة الأبدية ودل الشرع بمجموع نصوصه إلى أن الحياة الهادئة تدوم بالكلمة الطيبة والقول الحسن، قال تعالى: ﴿ وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن ﴾ وقال تعالى: ﴿ وقولوا للناس حسنا ﴾ وكذلك تدوم المحبة في البيوت وتشيع فيها روح الألفة بالخلق الحسن، وحُسْنِ المعاشرة، قال تعالى:" ﴿وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئًا ويجعل الله فيه خيرًا كثيرا﴾" و للحفاظ على الوئام في الأسرة لا بد من التمسك في كثير من الأحيان بالصبر الجميل والتغافل الذي لا تشوبه الغفلة والضياع، ولا ضير من الالتزام بالتقاليد والأعراف والعادات المجتمعية التي لا تتعارض مع الشرع، ومما يفيض على الأسرة السعادة أداء العبادة وإقامة الفرائض أحيانًا بشكلٍ جماعيٍ داخل الأسرة، وقراءة شيء من القرآن والحديث والعلوم النافعة على الأقل في الأسبوع مرة أو مرتين. وبذلك يتحقق السمو الفكري والروحي للأسرة، ويكون سببًا في حمايتها من أسباب الانحراف.

الفرع الثاني: التربية على قيمة الصدق:

لما كان الإيمان بالله أساس في التربية، والتربية أساس في غرس القيم، فإنه لا بد إذن من بناء القيم على أساس من الإيمان والتقوى حتى نجني ثمار القيم في السلوك والمبادئ لدى الفرد والمجتمع.

---

[6] – ينظر ا د. طارق عبد أحمد الدليمي، الأسرة ودورها التربوي أمام تحديات العولمة، عن موقع المنتدى الإسلامي العالمي للتربية، http://montdatarbawy.com , (19 – يوليو – 2018م)، و نسرين العبد، كيف يمكن تحقيق التماسك الأسري بين أفراد الأسرة الواحدة، للكاتبة – زياد، ١٢ نوفمبر ٢٠١٨ https://mawdoo3.com/

[7] –د. زقاوة أحمد انعكاسات العولمة الثقافية على القيم الأسرية، ، العدد (86) السنة الثانية والعشرون ، شتاء 2015م / 1436هـ https: //kalema.net/home

[8]– المرجع السابق. وانظر سناء الدويكات، مظاهر عناية الإسلام بالأسرة، ، ١٨ مارس ٢٠٢١م. وسناء الدويكات، مقومات الأسرة المسلمة، ٤ سبتمبر ٢٠١٦ كلاهما عن موقع موضوع https://mawdoo3.com/

فعلى المربي أولاً أن يكون قدوةً في الالتزام بقيمة الصدق، فضلاً عن التحلي بالصبر والحلم وعدم العجلة في استعجال الثمرة، وليتخذ من الحوار مبدأً لترسيخ القيم، فإذا تحلى الأفراد بهذه القيمة فلا ريب أنهم يشكلون لبنات متماسكة في مجتمعهم وهم بذلك يؤثرون بهذه القيمة على من يتعاملون معهم فيأمنونهم، ويتركون الأثر الطيب بين أفراد المجتمع، فلا يتعرض المجتمع للتفكك، بل يكونون سببا للألفة والمحبة والود والثناء الحسن فيما بينهم، فضلاً عن كونه سبيلاً لمرضاة الله تعالى، وهم بذلك يحدثون ولا شك نوعًا من التوازن والانسجام في أفراد المجتمع، ويكونون رقمًا مهمًّا في نهضة المجتمع برمته[9].

ففي حالة غرس قيمة الصدق مثلاً على المربي ألا يكتفي بالأمر بالصدق مجردا، فـ (قيمة الصدق) ليست كلمة تقال بالفم وترددها الألسن، إنما هي سلوكيات ومواقف تصدر من المربي أولاً حتى إذا وُجّهَ الابن لهذه القيمة يجد صدقًا في القول والفعل من أبيه أو أمه أو من يتولى توجيهه، ولا باس من تكرار القيمة المراد غرسها وتنشئتها في الطفل مرارًا وتكرارًا كقول الأب لابنه مثلاً: (تحر الصدق يا بني فـ "الصدق منجاة")[10] أو تذكير الأولاد بقول النبي ﷺ: " إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى البِرِّ، وَإِنَّ البِرَّ يَهْدِي إِلَى الجَنَّةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يَكُونَ صِدِّيقًا. وَإِنَّ الكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الفُجُورِ، وَإِنَّ الفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا"[11] فإن هذا القول مع تكراره لا بد ينفعه ولو بعد حين ما دام المربي قدوة.

ومع التذكير المستمر وطَرْقِ السمع بالنصائح والقصص المرئية (فيديوهات) الهادفة التي تحيي قيمة الصدق وما أكثرها اليوم، ثم طرق البصر بالسلوك، واستثمار المواقف، ومن خلال هذا التنوُّع في الأساليب التربوية؛ فطورًا بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية، وأخرى بالحوار، ومرة باختلاق موقف ما، مع استصحاب الرفق في كل أسلوب امتثالاً لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ما كان الرِّفْقُ في شيءٍ إلا زانَه، وما نُزِعَ من شيءٍ إلا شانَه"[12] فهذا التنوع حتم لا بد منه ليفعل في النشء مالا يفعله الوعظ حينما يكون مجردا من القيم.

---

[9] – صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي الشريف، ومجموعة من المختصين، الصفات المستحبة، الصدق، كتاب نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، ﷺ موسوعة قيم أخلاق التربية الإسلامية لما أُمر به في الكاتب والسنة دار الوسيلة للنشر والتوزيع، ط1 جدة 1418هـ/1998م، (ج/6 ص 2473). وعلوي بن عبد القادر السقاف، الدرر السنية موسوعة الأخلاق، أهمية الصدق في المجتمع، وينظر فضل الصدق وأثره، عن موسوعة 835/https://dorar.net/akhlaq نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، إعداد وأهمية الصدق وأثره على الفرد والمجتمع، آيات عرفات، عن https://www.ma3reefa.com / ٢٦ أبريل ٢٠٢١م. وللفائدة https://sotor.com /26فبراير 2020م. وأهمية الصدق في حياة الإنسان، عبد الرحمن الأوتاني ينظر فوائد الصدق

[10] – د. جاسم المطوع، كيفية غرس القيم والمهارات في الأبناء، برنامج قهوة الصباح، حوار في تليفزيون سلطنة عمان مع الدكتور 25 مايو 2016م. وهذه المقولة ليست بحديث ولكن معناها يتوافق مع ما تدعو إليه الشريعة وقد وردت أحاديث بهذا المعنى لكنها ضعيفة السند صحيحة المعنى منها؛ ما أورده المحدث محمد بن ناصر الدين الألباني عن منصور بن المعتمر: "تَحَرَّوْا الصِّدْقَ وإن رأيتم أن فيه الهَلَكَةَ؛ فإن فيه النجاةَ، (ت ١٤٢٠)، السلسلة الضعيفة ٣٣٩١ أخرجه ابن أبي الدنيا في «الصمت» (٤٤٦).

[11] – محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري، في صحيحه، الحديث عن عبد الله بن مسعود، (٦٠٩٤)، وينظر فتح الباري شرح صحيح البخاري كتاب الأدب، باب قول الله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين وما ينهى عن الكذب، عن المكتبة الإسلامية وشرح النووي على مسلم » كتاب البر والصلة والآداب » باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله.

[12] – محمد بن ناصر الدين الألباني (في صحيح الترمذي ١٤٢٠)، الحديث عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، إصلاح المساجد ٣١ • صحيح • أخرجه مسلم (٢٥٩٤) باختلاف يسير.

الفرع الثالث: التربية على الحفاظ على الأمانة:

لقد حثنا الإسلام على الأمانة وكلّفنا بحملها، فهي من أجَلِّ الأخلاق في الإسلام، ومن أهم أسسه، وحريٌّ بنا أن نحملها بحق ونربي عليها أولادنا، قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [سورة النساء: (58)].

وما زالت الأمانة وصفًا ملازمًا للنبي ﷺ بين قومه حتى قبل بعثته بالرسالة فقد كان يدعى (بالصادق الأمين)، والأمانة دليل على قوة الدين وحسن الخلق، وقد صح أن رسول الله ﷺ أنه كثيرًا ما كان يُرَدِّد هذه الكلمات في خطبه: "ألا إنه لاَ إِيمَانَ لِمَنْ لاَ أَمَانَةَ لَهُ ، وَلاَ دِينَ لِمَنْ لاَ عَهْدَ لَهُ"[13].

ولِعِظَمِ الأمانة وثقلها فقد نأت السماوات والأرض والجبال أن يحملنها، قال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً﴾ [سورة الأحزاب:72].

ومع ذلك يجب علينا أن نحملها بقوة كما أمرنا؛ ونغرسها في قلوب أبنائنا ونكون لهم قدوة في أداء ما نحمله منها، وأن نبين لهم معنى الأمانة بأنّها كل تكليف كلفنا به ظاهرًا كان أوباطنا، وعلينا أداؤه بقدر ما نستطيع قال تعالى: ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾[سورة التغابن آية: 16] ، وقد عرفت الأمانة بأنها: "كلُّ حقٍّ لزم أداؤه وحفظه "[14] فيجب علينا أن نقوم بها على الوجه الأكمل سواء كان ذلك صلاةً أو زكاة أو صيامًا أو غير ذلك من العبادات والمعاملات، وكل أنواع الحقوق سواء منها الاجتماعية المتعلقة بالأرحام والأهل والأقارب، أو المالية المتعلقة بحقوق من نتعامل معهم على أساس متين من الأخلاق، الذي هو جوهر الدين وأعظم رسالة فيه كما بين ذلك نبينا ﷺ فقال: " إِنَّما بعثتُ لأتمِّمَ مَكارِمَ الأخلاقِ"[15].
كل ذلك مما يعزز في نفوس الأبناء القيام بالأمانة حق القيام وحملها والعمل بها حيثما كانوا لا سيما إذا كنا قد أسسناهم على الإيمان والتقوي، والأحاديث في الأمانة وافرة، وحسبنا أن نذكر حديثًا يجمع أهم القيم الفاضلة، ومن بينها الأمانة، كم سنُغْبط إن تمسكنا به وعلمناه أولادنا، فعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: "أَرْبَعٌ إِذَا كُنَّ فِيكَ ، فَلاَ عَلَيْكَ مَا فَاتَكَ مِنَ الدُّنْيَا : حِفْظُ أَمَانَةٍ ، وَصِدْقُ حَدِيثٍ، وَحُسْنُ خَلِيقَةٍ ، وَعِفَّةٌ فِي طُعْمَةٍ"[16]. فأكرم بها من أسرة إن هي تحلت بهذه القيم، وأنعم بهم من أبناء إن هم ورثوا من آبائهم هذه الأخلاق، فالأخلاق الفاضلة حصن تصان به النفوس وتزكى به القلوب.

---

[13] – انظر الألباني صحيح الجامع حديث رقم : 7179. الحديث عن أنس بن مالك رضى الله عنه، ذكره صاحب الباحث الحديثي عن البغوي (ت ٥١٦)، شرح السنة ١٠٠/١والحديث حسن، أخرجه أحمد (١٢٥٦٧) واللفظ له، والبزار (٧١٩٦)، وأبو يعلى (٢٨٦٣)،

[14] – الدرر السنية موسوعة الأخلاق، مرجع سابق. وللفائدة فقد جاء في تعريفها في الدرر: قيل هي: (التَّعفُّف عمَّا يتصرَّف الإنسان فيه مِن مال وغيره، وما يوثق به عليه مِن الأعراض والحرم مع القدرة عليه، وردُّ ما يستودع إلى مودعه)، وقال الكفوي: (كلُّ ما افترض على العباد فهو أمانة، كصلاة وزكاة وصيام وأداء دين، وأوكدها الودائع، وأوكد الودائع كتم الأسرار)

[15] – الباحث الحديثي التابع للدرر السنية بحث فوريخرجه ابن رجب ابن رجب (ت ٧٩٥)، في لطائف المعارف ٣٠٥ • وذكره مالك في الموطأ بلاغا، ورواه البخاري في "الأدب المفرد" (273) وصححه الألباني في "السلسلة الصحيحة" (45).

[16] – التبريزي (741 هـ = 1340 م) محمد بن عبد الله الخطيب العمري، أبو عبد الله، ولي الدين، التبريزي: . صحيح مشكاة المصابيح للألباني، كتاب الرقائق، الفصل الثالث، المكتبة الشاملة الحديثة،الرابط: https://al-maktaba.org/book/8360/6175#p3. 370 / 2 وأورده الألباني في "السلسلة الصحيحة"

الفرع الرابع: التربية على حسن الخلق:

ذكرنا آنفا في سياق الكلام شيئًا عن حسن الخلق، وحسبنا ما يدل على العناية به في الإسلام قول النبي ﷺ فقال: " إنَّما بعثتُ لأتمِّمَ مَكارِمَ الأخلاقِ"[17]. والآيات الواردة في الأمر بحسن الخلق من الكثرة بحيث لا تخفى، منها: قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ﴾ [النحل: 90]. ومنها: وقوله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: 199]. وقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَومٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلا نِسَاء مِّن نِّسَاء عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحجرات: 11-12]. وغيرها الكثير مما لا يتسع المقام لإيرادها هنا. (ولما كان رسول الله ﷺ يمتثل أمر الله تعالى في كلِّ شأنه قولًا وعملًا، وكان خلقه القرآن، فإن الالتزام بالأخلاق الحسنة هو امتثال لرسول الله ﷺ: فهو الذي يأمر بها ويحض عليها) [18]، فعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: "اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن."[19].

(وتظهر أهمية تربية الأبناء على الأخلاق الإسلامية لما لها من أثر في سلوكهم كأفراد أينما حلوا أو ارتحلوا، كما تظهر في سلوكهم في المجتمع، لما تزرعه التربية في نفوسهم من القيم النبيلة والأخلاق الفاضلة كالرحمة، والصدق، والعدل، والأمانة، والحياء، والعفة، والتعاون، والتكافل، والإخلاص، والتواضع.. وغير ذلك من القيم والأخلاق السامية، فالأخلاق هي أساس الفلاح والنجاح ، يقول تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾ [الشمس: 9-10]، ويقول سبحانه: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾ [الأعلى: 14-15]، والتزكية في مدلولها ومعناها: تعني: تهذيب النفس باطنًا وظاهرًا، في حركاتها وسكناتها) [20].

ومن هنا إذا تلقى الأفراد ما يكفي من الأخلاق في أسرهم ظهر أثرها في سلوك المجتمع كلِّه، فالأخلاق هي الأساس لبناء المجتمعات الإنسانية إسلامية كانت أو غير إسلامية، قال تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: 1-3].

فعلى الوالدين هنا أو من يقوم مقامهما أن يربيا الأولاد على حسن الخلق وكيفية التعامل مع إخوانه من المسلمين ومع بني الإنسان كافة مع التركيز على التواصي بالحقِّ فلا يفرط به مهما كان الأمر، والتواصي بالصبر حيال ما يواجه من مغريات في الحياة بشكلٍ عام وما يراه ويعايشه من خلال وسائل التواصل الاجتماعي وما يتخللها من تحديات، وبهذا يمكننا بناء مجتمع محصن لا تنال منه عوامل التردي والانحطاط[21].

---

(17) – سبق تخريجه.

(18) – الدرر السنية، موسوعة الأخلاق، أهمية الأخلاق. https://www.dorar.net/.

(19) – الألباني صحيح الجامع،(97) رواه الترمذي (1987)، وأحمد (153/5) (21392). قال الترمذي: حسن صحيح.

(20) –ينظر موسوعة الأخلاق الإسلامية، أهمية الأخلاق، الدرر السنية عن المكتبة الشاملة الحديثة، ج1 ص 4 مع تصرف من الباحث فيما يخدم بحثه.

(21) – المرجع السابق.

الفرع الخامس: التربية على الحياء والعفة:

من أجل إيجاد بيئة نظيفة ومجتمع صحي تقل فيه قاذورات الانحراف و يسلم الفرد من أن تطاله دَرَكِ الشهوات، يلزمنا أن نغرس في النشْء والشباب الحياء والعفة كأهم قيمتين تحجزا من تحلى بهما عن الانغماس في وحل الشهوات، خاصة ونحن نشهد هجمة شرسة من الفضاء المفتوح؛ لا بل هجمات متتالية من التيار الإعلامي الجارف، والقنوات الفضائية المنهمرة بكثافة من كل صوب، وخاصة ما بتنا نكتوي بناره من وسائل التواصل الاجتماعي التي لم تدع بيتًا إلا ودخلته، إنها تعمل بكل ما أوتيت من قوة لا تكاد تغيب آنآء الليل وأطراف النهار غير كالة ولا مالة، ولا تفتر لحظة واحدة، فقنواتها المتعددة والمتنوعة والأخّاذة الجذابة بما تملك من إمكانيات تعمل بزخرف القول وتغري من يتلقفها بالسيء من الصور، وهي تسير بخطى مدروسة في هدم الأخلاق وزعزعة العقائد وتذيب الشخصية وتطمس الهوية.

إن هذه الوسائل في أوج قوتها تعمل بكل اقتدار في صلفٍ سافر لنشر ثقافة العُرْي والتحلُّل وتعرض شخصيات لا تتناسب وثقافتنا، تُلَقِّبُهم وتَنْعَتُهم بالفنانين والفنانات والنجوم والكواكب ليرفعوا مكانتهم أمام الجماهير المستغفَلة – بينما هم (أي الفنانون) في الحقيقة قد تجردوا من العفة والحياء والحشمة — ولكن ليتقبلهم عموم الناس فيجعلونهم بذلك قدوات لشبابنا وفتياتنا.

وإن أقْوَم السبل لصد هذا السيل الجارف الذي يزين الشهوات والشبهات ويسهل الوصول إلى المعاصي هو فقط حصن الإيمان والتقوى، والتأكيد على زرع وغرس خلق الحياء والعفة بوسائل متقبلة.

بذلك نستطيع نحصن أنفسنا وأبناءنا، ثم لا نركن بعدُ إلى حولنا وقوتنا، بل نبتهل إلى الله ونلهج بالدعاء بعد العمل بما مكننا الله من وسائل وأسباب.

إن الحياء والإيمان خُلُقان متلازمان، ولأهمية الحياء فقد اعتبره النبي ﷺ خُلُقَ الإسلام، فعن زيد بن طلحة، أن رسول الله ﷺ قال: " إنَّ لكلِّ دِينٍ خُلقًا وخلقُ الإسلامِ الحياءُ"[22] ، وإنه علامة الأسوياء من الناس، فإذا انعدم الحياء صار الإنسان صَفِيقاً بَلِيد الحس والشعور؛ ميتاً وإن كان يمشي على قدميه، قال ابن القيم: (الحياء من أفضل الأخلاق، وأجلّها وأعظمها قدراً، وأكثرها نفعاً، بل هو خاصة الإنسانية، فمن لا حياء فيه ليس معه من الإنسانية إلا اللحم والدم وصورتهما الظاهرة، ولولا خلق الحياء لم يقر الضيف، ولم يوف بالعهد، ولم تؤد أمانة، ولم تقضَ لأحد حاجة، ولا ستر له عورة، ولا آثر الجميل على القبيح من الأقوال) [23] وعن ابن عمر – رضي الله عنه – أن رسول الله ﷺ: "مَرَّ على رجُلٍ من الأنصار، وهو يَعِظُ أخاه (يعاتبه ويقول إنك لتستحي وينصحه) في الحياء، فقال رسول الله ﷺ: دَعْهُ فإن الحياء من الإيمان"[24] ، وعن ابن عمر – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ: "الحياء، والإيمانُ قُرناء (١) جميعًا، فإذا رُفِعَ أحدهما رُفِعَ الآخرُ"[25].

---

[22] – الباحث الحديثي المنذري (ت ٦٥٦)، الترغيب والترهيب ٣/٣٥٠ •كتاب الأدب، [إسناده صحيح أو حسن أو ما قاربهما]..

[23] – د. أشرف زاهر محمد، الحياء تاج وزينة، مجلة البيان، العدد (404)، الثلاثاء 20 ربيع الأول 1443 هـ – الموافق26/10/2021م، والتويجري، محمد بن إبراهيم كتاب موسوعة فقه القلوب – فقه حياء القلب، – المكتبة الشاملة الحديثة – و مفتاح دار السعادة لابن قيم الجوزية (1/ 277)، دار الكتب العلمية، بيروت.

[24] – عبد العظيم المنذري في الترغيب والترهيب، ورواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة.

[25] – من حديث ابن عباس، رواه الحاكم، وقال: صحيح على شرط الشيخين، ورواه الطبراني في الأوسط.

(ولا شك أن قلة الحياء من الأسباب التي تجلب مقت الله ثم استياء الناس، كما أن قلة الحياء تتضمن سوء السيرة والطوية، ومن فقد الحياء، فهو مستعد لارتكاب الموبقات والإجرام ويخلو قلبه من الرأفة وتحل به القسوة والجفوة فتزول عنه مظاهر الخير)[26].

ومن أعظم الأسباب التي يمكن أن نقي بها أولادنا؛ حصن الزواج، فإن تعذر عليهم الزواج لقصور النفقة؛ فهناك حلول منها الصبر والصيام وكذلك العفاف حتى يغنيهم الله من فضله، قال تعالى: ﴿ وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ [النور: 33]. (أي: ليطلب العفة عن الحرام والزنا الذين لا يجدون ما لا ينكحون به للصداق والنفقة، حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ أي: يوسع عليهم من رزقه) [27].

المطلب الثاني

قيم سلبية تعمل على هدم مكونات الأسرة ويجب اجتنابها

ويندرج تحته فروع منها:

الفرع الأول: الجهل والغفلة وعلاجهما:

أتت رسالة الإسلام لنشر أنوار العلم، وطمس معالم الجهل، فحثت من أول يوم لنزول الرسالة على طلب العلم وجعلته فريضة، فقد كانت كلمة (اقرأ) بمثابة ثورة علمية ضد الجهل والجاهلين، ولقد كانت أول كلمة طرقت أذن المصطفى ﷺ، قال تعالى: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [العلق: 1 – 5]، فبلّغها النبي ﷺ أمته ليبدد بها ظلمات الجهل؛ أخطر مرضٍ على الإنسانية وأشد داءٍ تعاني منه الأمم، فهو الداء العضال، والآفة الطامة، وهو أصل كل داء؛ فهو سبب الشرك والظلم والاستعباد، وهو سبب الاستبداد والقهر، وسلب الحريات، وكل اختلاف مذموم منشؤه الجهل، كما أن كل انحراف وضلال سببه الجهل، وما تنطلي الشبهات الفكرية، والثقافية على الشباب إلا بالجهل، وما الجمود والتحجر والتقليد الأعمى الذي تعيشه الأمة اليوم إلا والجهل أصله، وعامة المشكلات الاجتماعية والأسرية في الأعم الأغلب منبعها من الجهل، وكم من المعاصي والشهوات الجامحة والانحرافات الجنسية تنتشر بسبب الجهل، فالجهل يأتي بما لا يخطر على بال العقلاء من منكرات الأخلاق من الأفعال والأقوال.

من هذا المنطلق يمكن للمتأمل فَهْمَ معنى حثِّ الأمةِ كلِّها على العلم والتعَلُّم وفرضيته، فالعلم سبب الرفعة في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة: 11].وجاء في الخبر أن طلب العلم من الفروض، فهذا أنسُ بنُ مالكٍ رضِيَ اللهُ عنه:يروي أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: "طلَبُ العِلْمِ فَريضةٌ على كلِّ مُسلِمٍ."[28] وهو على التفصيل كما بينه شراح الحديث، فمنه الفرض العيني، ومنه الكفائي.

---

[26] – الترغيب والترهيب للمنذري، كتاب الأدب، بتصرف.

[27] – موسوعة الأخلاق، عن معالم التنزيل للبغوي (41/6).

[28] – الألباني (ت ١٤٢٠)، صحيح الجامع ٣٩١٤

لذا علينا أن نسعى لطمس أي معلم من معالم الجهل، ومحاربة الجهل بكل أنواعه عن طريق حملات توعوية متنوعة، وذلك بنشر الوعي أولاً في الأسرة حتى لا تقع الأسرة وأفرادها في مغبات الجهل وعواقبه الوخيمة، وثانيًا: في المجتمع لتجنب انتشار الفساد والكوارث والأزمات التي تهدد استقرار المجتمع، كالأمراض وانتشار الهرج والمرج والزنا والخنا والسرقة والاضطهاد الفكري والبدني والعقلي.

فالجهل يؤدي إلى ضعف الإيمان، ويمكن للجهل أن يتسبب في إحياء الوثنية، والتقهقر وبعثرة الجهود والعودة إلى الظلام[29]، وقد سبقه ابن الوردي: حيث قال: " وفي الجهل قبل الموت موت لأهله ... فأجسادهم دون القبور قبور

وإن امرءاً لم يحي بالعلم صدره ... فليس له حتى النشور نشور"[30]

ولا يفوتني هنا أن أذكر أنّ انتشار الجهل من علامات الساعة كما ورد في الحديث عن عبدالله بن مسعود وأبي موسى الأشعري، أن رسول الله ﷺ قال: "إنَّ بيْنَ يَدَيِ السّاعَةِ لَأَيّامًا، يَنْزِلُ فيها الجَهْلُ، ويُرْفَعُ فيها العِلْمُ، ويَكْثُرُ فيها الهَرْجُ" [31] والهَرْجُ يعني القتل. وقال ﷺ: "إنَّ مِن أشْراطِ السّاعَةِ: أنْ يُرْفَعَ العِلْمُ ويَثْبُتَ الجَهْلُ، ويُشْرَبَ الخَمْرُ، ويَظْهَرَ الزِّنا"[32].

الفرع الثاني: الفقر وعلاجه:

من أجل تجنب أسباب الفقر فقد حث الإسلام معتنقيه على العمل وشجع عليه في غير ما مناسبة وشجع على تعلُّم الحِرَفِ وحارب أسباب التّسوُّل وحرّم مد اليد للسؤال وبغّض ذلك لأصحابه واستثنى ذوي الحاجة والعوز، وشجع رسول الله ﷺ الناس على مزاولة الأعمال، وبعضَ المهن والصناعات، كما كانت نظرة رسول الله ﷺ للعمل نظرة تقدير واحترام، مهما كانت طبيعته؛ فإنه خيرٌ من سؤال الناس والذِّلَّة بين أيديهم[33]، ويُصَوِّر رسول الله ﷺ هذا الأمر بقوله: "لأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ فَيَأْتِيَ بِحُزْمَةِ الْحَطَبِ عَلَى ظَهْرِهِ، فَيَبِيعَهَا، فَيَكُفَّ اللَّهُ بِهَا وَجْهَهُ؛ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ أَعْطَوْهُ أَوْ مَنَعُوهُ"[34].

وكما كان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، القدوة والمثل الأعلى في العمل والكسب الحلال، فإن النبي ﷺ حث أمته على العمل وضرب لنا مثلاً بنبي الله داود فقال: "مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ دَاوُدَ تعالى كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ".[35] وقد كان رسول الله ﷺ يستعيذ كثيرًا من الفقر، بل ويقرنه في دعائه مع الاستعاذة من الكفر، فيقول رسول الله ﷺ: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكُفْرِ وَالْفَقْرِ"[36].

---

[29] – مالك بن نبي، شروط النهضة، (PDF) ترجمة عبد الصبور شاهين، عمر كامل مسقاوي،إصدار ندوة مالك بن نبي، دار الفكر للطباعة والنشر،بدون تأريخ الطبعة، ص(36).

[30] – ياقوت الحموي، كتاب معجم الأدباء، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب ، ج5 ص 956، المكتبة الشاملة الحديثة

[31] – انظر الباحث الحديثي، الألباني (ت ١٤٢٠)، صحيح الجامع ٢٠٥١، صحيح البخاري (٧٠٦٢).

[32] – أخرجه البخاري (٨٠)، ومسلم (٢٦٧١)

[33] – انظر أ.د راغب السرجاني، علاج رسول الله لمشكلة الفقر والبطالة، عن موقعه قصة الإسلام، https://islamstory.com/

[34] – البخاري عن الزبير بن العوام: كتاب الزكاة، باب الاستعفاف عن المسألة (1402).

[35] – البخاري عن المقدام بن معدي كرب: كتاب البيوع، باب كسب الرجل وعمله بيده (1966).

[36] – أبو داود: كتاب الأدب، باب ما يقول إذا أصبح (5090).

وحتى ينمو المال بطريق مشروع أحل الله البيع وحرم الربا وجرمه قال تعالى: ﴿وأحل الله البيع وحرم الربا﴾[سورة البقرة الآية (275)] ونهى عن أسباب الغش والخداع قال ﷺ " من غشنا فليس منا "[37]، وجعل القمار والميسر من أقبح الأعمال بل من عمل الشيطان، قال تعالى: ﴿إنما الخمر والميسر والأنصاب رجس من عمل الشيطان ﴾ [سورة المائدة الآية (122)] وجعل عقوبة على الأعمال الشنيعة كالسرقة والنهب والسلب، قال تعالى: ﴿ والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاءً بما كسبا نكالاً من الله .. ﴾ [سورة المائدة (114)] وشجع على الكسب الحلال لحفظ ماء الوجه ومد يد العون لكل محتاج كما مر آنفًا بالعمل المشروع، ولذلك شرع الزكاة والصدقات كنوع من أسباب التكافل بين أفراد المجتمع[38].

الفرع الثالث: أسباب تفكك الأسرة وعلاجه (عدم إظهار الخلافات الزوجية أما الأولاد):

(ترك النزاع والخصام والشقاق، وعدم التعود على التلفظ بالطلاق). لا شك أن البيت الذي نطمح إليه هو ذلك البيت الذي يتمتع جميع أفراده بشيءٍ من الطمأنينة والهدوء والسكينة، فما السبيل إلى مثل هذا البيت المثالي؟ أبدأ بالجواب من قوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا ﴾ [النحل: آية 80] وقال تعالى ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [سورة الروم آية (21)] والسَّكن من السكينة والراحة والطمأنينة[39] والهدوء.

لا أقول البيت الخالي من النزاعات والخصومات تمامًا؛ ولكن مهما وجد من ذلك من شيء فلا ينبغي أن يتحول البيت إلى جحيم بدل السكينة والطمأنينة، وعلى الوالدين – حتي يكونا قدوة لأبنائهم – أن يتعودا على الألفاظ الراقية والكلمات الجميلة، وأن يبتعدا عن العنف بجميع أشكاله سواءً كان لفظيًا أو بدنيًا أو نفسيًا فكل أشكال العنف تنافي القيم الإسلامية خاصة إن صدر ذلك من رب الأسرة أو حتى من الأم قال تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾ [الإسراء: آية (53)].

ينبغي أن يكون التعامل بين الزوجين بالحكمة، فوربي لهو من أهم أسباب الاستقرار ودوام الوئام، فعلى رب الأسرة أن يتعامل بحكمة، وعقل ورحمة، وأن يتغافل عما يراه من هفوات[40] وأخطاء بسيطة، وألا يُسارع إلى التلفظ بالطلاق لأتفهِ الأسباب، وأن يدرك أن المرأة رقيقة المشاعر، سريعة التأثُّر، يغلب عليها جانب العاطفة، وأنه مهما بلغت من رجحان العقل، فلا بدَّ من الوقوع في الخطأ والزلل[41]، ومن أجل دوام العشرة الزوجية على المحبة، والسعادة والألفة إلى ما بعد الموت؛ فعلينا بالتمسك بتوجيه سيد الخلق نبينا محمد ﷺ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ "لا يفرك مؤمن مؤمنةً إن كره منها خلقًا رضي منها آخر"[42]. ولنا في سول الله أسوة حسنة فقد كان يحدث بينه وبين أزواجه خلاف ولكنه كان يستعمل الحكمة في رأب الصدع، ومن ذلك أنه حدث ذات مرة خلاف بين النبي ﷺ والسيدة عائشة رضي الله عنها، وأثناء ذلك الخلاف "استأذَنَ أبو بكرٍ على النَّبيِّ ﷺ فسمِعَ صوتَ عائشةَ عاليًا فلمَّا دخلَ تناولَها ليلطِمَها وقالَ لا أراكِ ترفعينَ صوتَكِ على رسولِ اللهِ ﷺ

---

(37) – كتاب إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل (1319) (ص 319) المكتبة الشاملة الحديثة،

(38) – مجدي محمد مدني، وسائل محاربة الفقر في الإسلام، عن موقع https://islamonline.net/

(39) – محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: 711هـ)، لسان العرب باب السين، وانظر معجم المعاني لكل رسم معنى.

(40) – مرشد الحيالي، الأسرة السعيدة، 2015/1/20 م- 1436/3/29هـ رابط الموضوع: https://www.alukah.net/sharia

(41) – أمير بن محمد المدري، من رسائل الإيمان (18) كيف يكون بيتك سعيداً، عن موقع صيد الفوائد،

(42) – رواه مسلم– كتاب الرضاع– باب الوصية بالنساء، وفي السنن الكبير للبيهقي باب حق المرأة على الرجل.

فجعلَ النَّبيُّ ﷺ يحجِزُهُ فخرجَ أبو بكرٍ مغضَبًا فقالَ النَّبيُّ ﷺ حينَ خرجَ أبو بكرٍ كيفَ رأيتِني أنقذتُكِ منَ الرَّجلِ فمكثَ أبو بكرٍ أيَّامًا ثمَّ استأذنَ على رسولِ اللَّهِ ﷺ فوجدَهما قدِ اصطَلحا فقالَ لَهُما أدخِلاني في سِلمِكما كما أدخلتُماني في حربِكما فقالَ النَّبيُّ ﷺ قد فعَلْنا قد فعَلْنا"[43] والحديث: "استوصوا بالنساء خيرًا44" دليل واضح على وجوب التعامل بالرفق مع الزوج.

الفرع الرابع: آفة الفراغ وعلاجها:

إذا تأمل الواحد في الهدف من وجوده، استنتج أن وقته أثمن ما يملك في الحياة، بل هو الحياة، ولقد أقسم الله بالزمن (الوقت) في غير ما آية بشكل متكرر وبداية الأوقات كلها فأقسم مرةً بالفجر وأخرى بالصُّبح كما أقسم بالضحى و بالعصر والليل وذكر الظهر في معرض ذكر الصلاة أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل.. وكأني ألحظ في الآيات تنبيه خطير على أهمية الزمن في حياتنا وحياة أولادنا وحياة الناس قاطبة، ولست بصدد أن أحصي الآيات كلها هنا، فقط لنتأمل معًا سورة واحدة من قصار السور والتي نحفظها جميعًا، وفيها التشديد على الحفاظ على الوقت ولا سيما من المربي داخل الكيان الأسري، ولكن قلَّ من يقف عند معانيها، وربما تقالّها، قال تعالى: ﴿ وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [سورة العصرالآيات(1،2،3)].

إن هذا القسم له دلالة عظيمة على أهمية الوقت وما هو إلا تلك اللحظات من الحياة القصيرة التي يحياها الإنسان كل بني الإنسان، وقد فسر العصر بالدّهْر أو الزمان كله[45]، وهذا يدعونا إلى أن نكون أشد حرصًا عليه من المال فهو عمرنا وأنفاسنا، وعلى الإنسان عامة أن يستثمر دهره وعمره وساعاته وألا يضيع الوقت – سِمّهِ إن شئت العمر أو الدهر أو الحياة – سدى فيُغْبَنُ ويخسر دينه ودنياه، ولا سيما إن ضيعه في سفساف الأمور وتوافهها فمن أسلم نفسه لله وعمل صالحًا فاز بمقتضى هذه السورة وكَسِبَ دينه ودنياه، وإن كان غير مؤمن ولكنه استفاد من الوقت في عملٍ لدنياه فلا أقَلَّ من أن يكسب دنياه، ولكنه يخسر آخرته.

وإذا أضفنا إلى هذا التوجيه الرباني توجيه نبينا ﷺ في القضية نفسها، سنجد أكثر الناس واقِعُ في الغبن غيرُ عابئٍ بما يخسره جراء تضييعه نفائس عمره وساعاته إما في لهو زائف أو هوى مفسد، غير مكترثٍ بما يفوته من خيري الدنيا والآخرة، ترى أيّ غبن يلحقه وأيّ ندامة تدركه بعد فوات الأوان، فعن ابن عباسٍ رض رضي الله عنهقال النبي ﷺ "نِعْمَتانِ مَغْبُونٌ فِيهِما كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ والفَراغُ"[46].

---

[43] – محمد بن مقبل هادي الوادعي، الصحيح المسند، الصفحة أو الرقم : 1172

[44] – الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه، خرجه الألباني في صحيح الجامع ارقم : 960

[45] – أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ) تفسير القرآن العظيم لابن كثير – تفسير سورة العصر، وانظر محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : 1393هـ) التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس سنة النشر: 1984 هـ تفسير العصر، فذهب إلى جواز أن يفسر العصر في هذه الآية بالزمان كله، عن الموسوعة الشاملة للتفسير، المكتبة الشاملة.

[46] – صَحِيحُ البُخَارِي، كِتَاب الرِّقَاقِ، بَاب لَا عَيْشَ إِلَّا عَيْشُ الْآخِرَة.

الفرع الخامس: الصداقات وانحراف الأولاد الأسباب والعلاج:

إن من أهم ما يجب على رب الأسرة توخيه ألا يقع أولاده فريسة للانحراف والانجراف نحو اللاأخلاقية، وإن مهمة حفظ الأبناء تبدأ بوقايتهم من أسباب الانحراف وأصدقاء السوء، فالمرء يتأثر بصاحبه، وكما قالت العرب قديمًا الصاحب ساحب فهو يؤثر على صديقه في عاداته وأخلاقه وسلوكه وتصرفاته.

لذلك نبهنا النبي ﷺ لأهمية اتخاذ الخليل الصالح الذي منه السلامة والمنفعة في الدين والدنيا، وبه تدوم العلاقة الطيبة وتؤتي ثمارها في العاجلة قبل الآجلة، فمن حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ "الرجُلُ على دِينِ خَلِيلِه؛ فَلْينظُرْ أحدُكم مَن يُخالِلْ"[47]، وفي حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه الآخر" إِنَّما مثَلُ الجلِيس الصَّالِحِ وَجَلِيسِ السُّوءِ: كَحَامِلِ المِسْكِ، وَنَافِخِ الْكِيرِ، فَحامِلُ المِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ ريحًا طيِّبةً، ونَافِخُ الكِيرِ إِمَّا أَن يَحْرِقَ ثِيابَكَ، وإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا مُنْتِنَةً."[48].

ويكون ذلك بالمداومة وتعهد الأبناء بالتربية السليمة، وتحذيرهم مما يوقعهم في فخ الجريمة، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾ [سورة التحريم آية 6] ولو عرجنا على تفسير هذه الآية فسنجد جل التفاسير تشير إلى أن وقاية الأهل والأولاد إنما تكون بغرس أسس التربية الصحيحة، وبالتعليم[49] ومداومة التذكير والنصح مع اصطحاب الرفق من قِبَلِ الوالد في أغلب الأحيان وأن يتعهد من هم تحت رعايته دائمًا، ولا يكل من التكرار بالمواقف الإيمانية السليمة واستعمال الحكمة والموعظة الحسنة. فالتربية الإيمانيَّة تحفظهم من الانحِرافات العقديَّة، والسلوكية، والفِكرية، وتحصنهم من مَظاهر الغلوِّ والتطرُّف[50].

وهنا أقتبس من كلام القرطبي العبارة المهمة ؛ إذ يقول: (فعلى الرجل أن يصلح نفسه بالطاعة، ويصلح أهله إصلاح الراعي للرعية. فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: " كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالإِمَامُ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ فِي أَهْلِهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالمَرْأَةُ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا رَاعِيَةٌ وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالخَادِمُ فِي مَالِ سَيِّدِهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ" [51]. وعن هذا عبر الحسن في هذه الآية بقوله: يأمرهم وينهاهم . وقال بعض العلماء لما قال: " قوا أنفسكم " دخل فيه الأولاد؛ لأن الولد بعض منه، فلم يفردوا بالذكر إفراد سائر القرابات. فيعلمه الحلال والحرام، ويجنبه المعاصي والآثام، إلى غير ذلك من الأحكام) [52].

---

(47) – الألباني، صحيح أبي داود، عن الدرر السنية.

(48) – متفقٌ عَلَيهِ. وانظر د.خالد السبت، شرح كتاب رياض الصالحين، باب زيارة أهل الخير ومجالستهم وصحبتهم ومحبتهم وطلب زيارتهم والدعاء منهم وزيارة المواضع الفاضلة.

(49) ينظر ابن كثير تفسير سورة التحريم الآية 6، مرجع سابق، وكذلك ابن عطية تفسير المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز.

(50) – ينظر د عبد السميع الأنيس، ما حقوق الأبناء على الآباء، شبكة الألوكة، رابط الموضوع: https://www.alukah.net

(51) – البخاري باب قوله كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته، وصحيح مسلم ،كتاب الإمارة باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر والحث على الرفق بالرعية والنهي عن إدخال المشقة عليهم.

(52) – انظر أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: 671هـ) في كتابه الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة الطبعة: الثانية، 1384هـ – 1964 م تفسير الآية 6 من سورة التحريم.

الفرع السادس: غياب القدوة سببٌ رئيس في الانحراف والفجور وعلاج ذلك:

بالإضافة ما سبق من عوامل وهي جد خطيرة فما تأمل من أسرة يكثر فيها الخصام وخاصة بين الأبوين، وتشتد حدة النزاعات وترتفع وتيرتها يومًا على يوم، حتى تصير دَيْدَنًا في المنزل، ولم يكن للأولاد راعٍ يتفرغ لهم ولا يفرغ من وقته لأولاده فيصادقهم ويحادثهم ويسامرهم ويلعب معهم أحينًا، ويضع لهم خطة يومية وأسبوعية وشهرية برنامجًا متنوعًا علميًّا وثقافيا ورياضيا وغيرها من البرامج المفيدة التي لاشك تنعكس إيجابيًّا على الأبناء ما يؤدي إلى استهلاك الوقت في المفيد النافع وإلا فإن عكس ذلك ينتظرهم وهو نفورهم ونفرتهم من الجو المشحون بالمعكرات النفسية والذهنية والصحية، وبالتالي حتمًا سيبحثون عن البديل بين الأصدقاء والخلان بغض النظر من هم وكيف هم وما هي أفكارهم، وهنا يحدث مالا يحمد عقباه، فحَدِّثْ بعد ذلك عن الانحراف السلوكي بين الأولاد والانحراف الأخلاقي والميول نحو الشهوات والاندفاع نحو الجريمة أو حتى التطرف والإرهاب.

وإذًا فإن غياب القدوة بين أفراد الأسرة، له تبعاته وله عواقبه، ولن يكون لكلام المربي الحي الميت أثر مهما جمّل خطابه وسبكه.

لقد كان نبينا ﷺ قدوة وأسوة حسنة لأهله وللمؤمنين إلى يوم القيامة، قال تعالى: ﴿ لَقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ﴾[سورة الأحزاب آية 21]

المبحث الثاني: التحديات التي تواجهها الأسرة في ظل المتغيرات العصرية ويشتمل عدة مطالب

المطلب الأول

تحديات العولمة وكيفية التعامل معها إزاء تغيير مفهوم الأسرة النمطي

الفرع الأول: المحافظة على السمت العام لأفراد الأسرة المسلمة:

في ظل هذا الانفتاح العولمي الهائل والضخ الإعلامي غير المسبوق، وغزوه البيوت والأسر، بات لزامًا على رب الأسرة أن يقنن عملية التواصل الاجتماعي لأفراد عائلته حتى يقيهم الخطر الداهم من قبل وسائل التواصل الاجتماعي التي تعمل كأداة من أدوات العولمة بغرض تغيير نمط المجتمعات والأسر والأفراد وإعادة تشكيلها وتشكيل وعيها وفق النظام العالمي الجديد الذي اشتهر (بالعولمة)، خاصة وقد بات معلومًا من خلال أحد تعاريف العولمة اللغوية "جعل ما هو محلي عالميًّا"[53] كي يكون الجميع على نسقٍ واحد في الملبس والمأكل والمشرب والعادات والتقاليد والسمت العام للشباب والأجيال القادمة وذلك بنشر النمط المراد عولمته من خلال ما يعرض في هذه الوسائل من أفلام ومقاطع قصيرة وإعلانات تأخذ بالألباب.

[53] – [مجموعة من المؤلفين] منهم هيثم بن جواد الحداد،كتاب مجلة البيان ص59 – العولمة اللغوية – المكتبة الشاملة الحديثة الرابط: https://almaktaba.org/book/1541/4138#p96

فما المحلى في هذا التعريف؟ وما المقصود بجعله عالمياً؟ ولتوضيح هذا التعريف دعوني أقتبس التعريف الآخر الذي يوضح هذا المجمل وهو أن العولمة تعني: (العمل على تعميم نمط حضاري، يخص بلدًا بعينه، هو الولايات المتحدة الأمريكية بالذات على بلدان العالم أجمع)[54]، وهي أيضًا أيديولوجيًا (تعبر بصورة مباشرة عن إرادة الهيمنة على العالم، وأمركته)[55]، أو كما أوجزها الجابري "تغريب العالم تحت قيادة أمريكا"[56] وبتعبير أوضح يعني (محاولة الولايات المتحدة إعادة تشكيل العالم وصبغته كليًّا وفق مصالحها – الاقتصادية والسياسية –، ويتركز أساسًا على عمليتي تحليل وتركيب للكيانات السياسية العالمية، وإعادة صياغتها سياسيًا واقتصاديًا وثقافيًا واجتماعيًّا وإعلاميًّا و[بشريًا]*، وبالطريقة التي تستجيب للمصالح الاستراتيجية للولايات المتحدة الأمريكية)[57]. ودعوني هنا أقتبس ما قاله الدكتور فؤاد عبد الكريم: (لقد أصبحت المرأة والأسرة هدفين أساسيين لأدوات العولمة الغربية وبالتحديد الأمريكية لتنميط الحياة الاجتماعية للأسرة وذلك بتقنين الإباحية والرذيلة، ومن خلال محاولة تعميم الشذوذ باسم حقوق الإنسان والحرية الشخصية، وتقويض بناء الأسرة؛ لأنها في زعمهم أكبر عائق من عوائق التقدم والرفاهية؛ فهي أقدم مؤسسة اجتماعية يدَّعون أن الرجل يتسلط من خلالها على المرأة، ويمارس عليها أشكال القهر، ومن أجل التحرير المزعوم للمرأة فإنهم يرون ضرورة التخلص من شيء اسمه الأسرة، ولو أدى ذلك إلى التمرد على كل التعاليم الدينية، والمبادئ الفطرية، التي أرست دعائم الشعوب والأمم على مر التاريخ البشري)[58].

وهذا ديدنهم حتى الساعة وسيظلون محاولين بكل ما أوتوا من قوة مادية وعلمية برنامج مطروح في أجنداتهم لم ولن يسأموا من السعي لتحقيقه في الواقع، وفرضه بالقوة مستغلين ما يمتلكونه من وسائل الإعلام بمختلف أشكالها وأنواعها (المقروءة والمسموعة والمرئية)، وهذا الأمر معلوم للجميع ومشاهد على أرض الواقع[59].

الفرع الثاني: المحافظة على العادات الأسرية المنبثقة عن الدين في الطعام والشراب:

لم يكن الإسلام ليترك أتباعه هملاً في أي جانبٍ من جوانب الحياة، ولقد علمنا ديننا كل شيء مما تقوم به مصالحنا الدينية والدنيوية، ففي جانب الطعام والشراب سأكتفي هنا بنموذج واحد للطعام وآخر للشراب، وسأترك مرجعًا مهمًّا في الهامش لمن رام التوسع والاطلاع[60] فهذا عمر بن أبي

---

(54) – انظر د.وليد الرشودي، التماسك الأسري في ظل العولمة، 18ذو الحجه 1429، ورقة مقدمة لندوة الأسرة المسلمة والتحديات المعاصرة –مجلة البيان، نقلاً عن محمد عابد الجابري، العرب والعولمة، ص 137.

(55) – المرجع السابق، بتصرف.

(56) – عبد الرحمن الأغبري، العولمة وخطرها على الأمة الإسلامية، ص 27، مرجع سابق.

(57) – التماسك الأسري في ظل العولمة، مرجع سابق، (*) لعل المقصود بها العمل على تشريع حرية التحول الجنسي، والله أعلم

(58) – أ.د محمد أمحزون. العولمة الاجتماعية للمرأة والأسرة للأستاذ فؤاد آل عبد الكريم.كتاب مجلة البيان [مجموعة من المؤلفين]، العولمة الاجتماعية للمرأة والأسرة، ص34 المكتبة الشاملة الحديثة.الرابط:https://al-maktaba.org/book/1541/4136#p3

(59) – المرجع السابق مع تصرف في الألفاظ.

(60) – محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ)،كتاب زاد المعاد في هدي خير العباد، فصل هديه صلى الله عليه وسلم في الطعام،ص142 المكتبة الشاملة الحديثة، وانظر رياض الصالحين للإمام النووي، كتاب آداب الطعام، فقد جاء فيهما التسمية في أول الطعام والشراب والحمد في آخرهما، وألا يعيب طعامًا قط بل يستحب مدحه، والأكل مما يليه وعدم القرن بين تمرتين، والأكل من جانب القصعة وعدم الأكل من وسطها والأكل بثلاثة أصابع، ولعق الأصابع في نهاية الطعام، وألا يأكل متكئًا، وكذلك في الشرابأ لا يشرب من في القربة ونحوها ويستحب التنفس خارج الإناء ثلاثًا، وكراهة النفخ في الإناء، وأن يشرب بيمينه، ويستحب له البسملة في أوله والحمدلة في آخره، وغير ذلك من الآداب.

سلمة طفل صغير كان يعيش في حجر النبي ﷺ فجلس مع النبي ﷺ على الطعام ، فجعلت يده تتخبط في الصحفة يمينا وشمالا، لأنه صغير لم يترب بعد[61]، فعلمه النبي ﷺ برفقٍ ورحمةٍ قائلاً له: " يا غلام سم الله وكل بيمينك وكل مما يليك" [62].

وأما عن آداب الشراب فهي متعددة فسأكتفي بذكر حديثين الأول عن أنس رضى الله عنه عن النبي ﷺ ("أنه نهى أن يشرب الرجل قائما" قال قتادة: فقلنا لأنس: فالأكل؟ قال: ذلك أشر أو أخبث وفي رواية له أن النبي صلى الله عليه وسلم زجر عن الشرب قائما) [63]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه عنه قال: قال رسول ﷺ : "لا يشربن أحد منكم قائما فمن نسى فليستقيء"[64]. والحديثان ظاهرهما النهي عن الشرب من قيام لكن العلماء استنبطا من خلال فعل النبي ﷺ أنه يجوز للحاجة والضرورة.

وكان ﷺ يغسل يديه قبل الأكل وبعده، فعن عائشة رضي الله عنها قالت" كانَ رسولُ اللَّهِ ﷺ إذا أرادَ أن ينامَ ، وَهوَ جنبٌ ، تَوضَّأَ . وإذا أرادَ أن يأْكلَ ، أو يشربَ . قالت : غسلَ يدَيهِ ، ثمَّ يأكلُ أو يشربُ"[65] .

الفرع الثالث: المحافظة على العادات الأسرية المنبثقة عن الدين في الملبس:

إن من محاسن الإسلام أن أوجد مساحة للاجتهاد فيما ليس فيه نص صريح عن طرق القواعد الأصولية والفقهية، ففي كثير من الأمور الدنيوية ترك للعقل الإنساني حرية الاجتهاد.

ففي المظهر الخارجي للإنسان المسلم لم يجبره الإسلام بمظهر معين إلا أنه لم يتركه دون توجيه عريض فجعل لذلك وصفًا وقاعدة عامة في لباس الرجل ووصفًا وقاعدة للباس عامة لتستر المرأة، ويتغير اللباس من مجتمع إلى آخر حسب العادات والتقاليد لكنها في مجملها تتقيد بعموم الشرع الحنيف، غير أن وسائل التواصل الاجتماعي تعمل جاهدة ودونما كلل على تغيير العادات والتقاليد في كل مجال وتعمل على غزو المجتمعات والأسر والأفراد، فكما جعل الله لكل نبي أعداءً من شياطين الإنس والجن يوحي بعضه إلى بعض زخرف القول قد أخذ الغرور منهم مبلغه ،كذلك يفعل هؤلاء هنا في تزيين ما يريدون الترويج له عبر وسائلهم التي تزخرف القول ولم تكتف بتزيين القول؛ بل زادت على ذلك بزخرف الصور والمقاطع الأخاذة والجذابة لكل من يستعمل هذه الوسائل خاصة النشء والشباب.

وصدق الله تعالى إذ قال: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾[سورة الأنعام الآية: (112)]فما معنى زخرف القول: أي: (يزين بعضهم لبعض الأمر الذي يدعون إليه من الباطل، ويزخرفون له العبارات حتى يجعلوه في أحسن صورة، ليغتر به السفهاء، وينقاد له الأغبياء، الذين لا يفهمون الحقائق، ولا يفقهون المعاني، بل تعجبهم

---

(61) – محمد بن صالح العثيمين، كتاب فتح ذي الجلال والإكرام بشرح بلوغ المرام ط المكتبة الإسلامية – فائدة حكم اللحوم المستوردة من بلاد الكفار ص42

(62) – البخاري، كتاب الأطعمة، باب التسمية على الطعام والأكل باليمين.

(63) – محمد بن صالح العثيمين، شرح رياض الصالحين، دار الوطن للنشر، الرياض الطبعة: 1426 هـ باب بيان جواز الشرب قائما وبيان أن الأكمل والأفضل الشرب قاعدا، وهو من رواية مسلم عن المكتبة الشاملة.

(64) – المرجع السابق.

(65) – أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: 303هـ) المجتبى من السنن = السنن الصغرى للنسائي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب الطبعة: الثانية، 1406 – 1986 كتاب الطهارة، باب اقتصار الجنب على غسل يديه إذا أراد أن يأكل أو يشرب، ص 139

الألفاظ المزخرفة، والعبارات المموهة، فيعتقدون الحق باطلا والباطل حقا)[66] وتركز على تغيير المظهر الخارجي الذي يوحي به وبزخرف من القول من شياطين مسؤولي هذه الوسائل

الفرع الرابع: المحافظة على العادات الأسرية المنبثقة عن الدين في المسكن والعادات والتقاليد العرفية:

لا يماري أحد منا أن للمسلمين خصوصيتهم الثقافية بكل ما تحمله الكلمة من معنى، فلكل أمة ثقافتها الخاصة المبني على فكر ومعتقد. كذلك الأمة المسلمة فهي تتميز في كثير من أمورها فإن كانت الثقافة تحمل معان كثيرة منها السمت العام في الملبس وطريقة إلقاء السلام وطريقة الكلام وخصوصية الأفراح في الأعياد والمناسبات كالزواج وغيرها.

كذلك فإن المسكن يعد ضمنًا تحت مصطلح الثقافة، فبناء المسكن المسلم يراعى فيه حفظ العورات والحرمات، فمن الناحية الظاهرية ينبغي ألا يطل على جيرانه بنافذة أو شرفة فيؤذيهم وأن تكون نوافذه بحيث لا يسمح لنفسه برؤية جيرانه منها، ولا للأجنبي رؤية من بداخلها حفظًا للعورات وغيرها من الأمور.

أما من الناحية الجوهرية فمما يراعى فيها؛ حق الضيف وأن يكون في مكان مستقل بحيث لا يرى وربما لا يسمع نساء البيت فهن في مكان داخلي منعزل تمامًا، عملاً بقول الله تعالى : ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾[سورة النور: الآية (30)] ولرب الأسرة مهمة شرعية داخل الأسرة، فهو راع عليه حق الرعاية التربية والتعليم،عملاً بحديث المصطفى ﷺ: " كلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالإِمَامُ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ فِي أَهْلِهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ"[67] ، وهناك مسألة الاستئذان ثلاث عورات لكم ومسألة ثالثة أخرى مهمة هي التفريق بين الذكور والإناث عند سن العاشرة، فعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ ": " مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرٍ ، وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ "[68].

الفرع السادس: الابتعاد عن الإسراف وثقافة الاستهلاك التي تروج لها أدوات العولمة:

شكل امتلاك وسائل التواصل الاجتماعي لدى أفراد الأسرة بما تفرزه هذه الأجهزة من إعلامها السطحي الباهت والمشحون بالإعلانات المتتالية والدعايات المتكررة موجة عاليةً من الثقافة الاستهلاكية بين أفرد الأسرة لدرجة التسابق المحموم من أجل اقتناء مشتريات غير لازمة، وليس ذلك من حاجة ضرورية غير أنه بدعوى مواكبة العصر والتحضر، وفي الحقيقة ما هو إلا إحكام السيطرة من قبل وسائل إعلام العولمة وتأثيرها الخطير على المجتمعات.

---

[66] – عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: 1376هـ) تيسير الكريم الرحمن، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى 1420هـ -2000 م – تفسير سورة الأنعام – الآية 112

[67] – سبق تخريجه.

[68] – صهيب عبد الجبار، الجامع الصحيح للسنن والمسانيد – التفريق بين الأولاد في المضاجع – غير مطبوع بحسب المكتبة الشاملة الحديثة.

وبحسب الدكتور د.الرماني: (تعتبر وسائل الإعلام ووسائل التواصل الاجتماعي الحديثة محرضاً قوياً على الاستهلاك؛ بما تمتلكه من الثقة لدى معظم المشاهدين والمتابعين، وبما تبثه من البرامج المعدّة خصيصاً لتوجيه الجمهور ودفعه إلى الاستهلاك)[69].

إن امتلاك معظم أفراد الأسرة هذه الوسائل ليعتبر من الإسراف والتبذير بالمال والدخول في فوضى أسرية غير محكومة ما دام جل أفرادها يحملون هذه الوسائل، وهذا ينافي قول الله تعالى: إنه لا يحب المسرفين وكذلك ماجاء في السنة المطهرة من حديث أنس رضي الله عنه أنه قال: قال النبي ﷺ: " ثلاثٌ منْجِياتٌ: خَشْيَةُ الله تَعَالَى فِي السِّرِّ والعَلاَنِيَةِ والعَدْلُ فِي الرِّضا والغَضَبِ والقَصْدُ فِي الفَقْرِ والغِنَى وثلاثٌ مُهْلِكاتٌ: هَوًى مُتَّبَعٌ وَشُحٌّ مُطاعٌ واعْجابُ المرءِ بِنَفْسِهِ" [70].

" ولعل الأسر التي تقتني مثل هذه الوسائل تشعر منذ أن تقوم بدفع ثمنها بانتقالها إلى مرحلة جديدة في نمط جديد للحياة اليومية، وما دامت اللحظات الأولى لامتلاك وسيلة الإعلام والتواصل تقترن بدفع مبلغ من المال ليس باليسير بالنسبة لمعظم الأسر على امتداد وطننا الإسلامي، فإن هذا يعني تدريب هذه الأسر على اقتحام مجال الإسراف الذي تبدو أهم ملامحه في تلك الفوضى التي لا تعرف توازناً بين الحق والواجب، والأهم والمهم، والضروري والكمالي.

المطلب الثاني

وسائل التواصل الاجتماعي وكيفية الاستفادة منها في تعزيز مفهوم الأسرة والحفاظ على كيانها

ويندرج تحته فروع:

الفرع الأول: ضوابط استخدام وسائل التواصل الاجتماعي فيما فيه فائدة شخصية وعلمية وفي تعزيز الترابط الأسري:

لا يختلف اثنان في ما لوسائل التواصل الاجتماعي من فوائد؛ فهي لا شك وسيلة رائعة ومنافعها كثيرة، ولكنها كغيرها من الوسائل الحديثة إن جاز التعبير فهي سلاح ذو حدين؛ يمكن عن طريقها نشر الفضيلة ونشر العلم النافع ونشر المعرفة وتبليغ الدين، وبها يحصل التعارف بين الناس والتواصل مع المجتمعات، وفوائد جمة لسنا بصدد إحصائها على كثرتها، ولا ينكر هذه النعمة إلا من لا يعرفها، والحقيقة رغم فوائدها العظيمة إلا أن تملك الأطفال لها كارثة حقيقية بما تتركه من آثار سلبية عل النواحي الصحية والعقلية والنفسية للطفل، خاصة مع ظهور المقاطع القصيرة التي لا تسدي علمًا ولا تجدي فائدة إذ يمرر الطفل أصبعه على عشرات المقاطع ناهيك أن تكون بعضها مخلة بالآداب فعلى فرض أنها مسلية فقط؛ هل تثمر علمًا وهل تشحذ همة الطفل للعلم والمعرفة وهل؟ وهل؟ .. التساؤلات كثيرة، وأترك الجواب لكل ذي بصيرة بمجريات الواقع والمشاهد الآن.

وأما إذا وقعت في أيدٍ لا تقدر هذه النعمة، فحتمًا فإنهم لا يقتصرون في استخدامها على منافعها وما تتضمن من إيجابيات؛ بل طالما يتعدونها إلى الجانب السلبي منها والذي لا تراعى فيها الضوابط والآداب و محاسن الأخلاق ولا يبالون بمنظومة القيم التي تكلمنا عنها في بداية البحث ولا يلتفتون إلى المنظومة القيمة الاجتماعية والأسرية وربما تاه المستخدم لها فصادم المعتقدات وأخل بموروث العادات والأعراف وخصوصيات الأسرة.

---

(69) – د. زيد بن محمد الرماني، أين مكمن الداء؟ موقع الألوكة الثقافية، https://www.alukah.net/culture

(70) – العلامة الألباني، كتاب الجامع الصغير وزيادته – – المكتبة الشاملة الحديثة.

وهنا مكمن الخطر عندما يختل ميزان القيم، فالحياء سيد القيم، و"لا يأتي إلا بخير"[71]كما أخبر بذلك سيد البشر ﷺ، وأكد عليه علماء الأمة فهذا ابن القيم يؤكد أن الحياء هو حياة القلب وأصل كل خير، فإذا ذهب الحياء عوقب صاحبه بالانغماس في المعاصي، قال رحمه الله[72]: "من عقوبات المعاصي ذهاب الحياء الذي هو مادة حياة القلب، وهو أصل كل خير، وذهابه ذهاب الخير أجمعه فقد جاء في الحديث الصحيح "الْحَيَاءُ خَيْرٌ كُلُّهُ" [73].

والحياء يحجز صاحبه عن سيء الأعمال، وسيء الأقوال، فلا يزال المؤمن يرى في قول نبي الهدى ﷺ: "إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسَ مِنْ كَلَامِ النُّبُوَّةِ الْأُولَى: إِذَا لَمْ تَسْتَحِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ"74 زاجرًا له وصارفًا له عن كل سوء، وعليه فإن الاتصاف بهذه القيمة (الحياء) تجعل من صاحبها هاديًا مهديًا يحرص على ما ينفعه وينشر ما يُكتَب له في صحيفة عمله يوم القيامة، وكذلك المسلم المحسن الذي يتحلى بقيمة الإحسان، كذلك هذه القيم تحيي ضميره وقلبه، فتجعله دائم اليقظة والاتصال بربه، ذلك أن الإحسان مرتبة جليلة وضَّحها الرسول ﷺ بقوله: "أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك" [75].

ومع ذلك قد لا يسلم المسلم والرجل السوي رغم استمساكه بالقيم ولا سيما ما ذكرنا آنفًا، فربما تَزِلُّ قدمه مرةً بعد أخرى بما ركب به من الضعف البشري، فيلج درك المعاصي والمآسي، نعم! لكنه سرعان ما يؤوب إلى ربه ويعود، ويتذكر ويندم ويستغفر، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ﴾[سورة الأعراف الاية (201)] وقال تعالى:﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾[سورة آل عمران الآية(135)]

الفرع الثاني: مواجهة العولمة الثقافية والاجتماعية خاصة للحد من انحلال قوام الأسرة:

في ظل الإعلام المحموم الذي تديره العولمة كان من أشنع ما قامت به ولا زالت تتابع العمل فيه أن ركزت بشكل متسارع على خلخلة نظام الأسرة الإسلامية وزعزعة عقيدتها من خلال أدوات كثيرة أهمها مؤسسات الهيمنة الدولية كهيئة الأمم المتحدة والبنك الدولي وصندوق النقد الدولي وأداة ثالثة هي ثالثة الأثافي والداهية العظمى والشر المستطير ولست أبالغ في الأمر؛ فقد عقدت الأمم المتحدة مؤتمرات عديدة[76] جعلتها كسلم

---

(71) – البخاري –كتاب الأدب – باب الحياء، من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه.

(72) – ابن قيم الجوزية، كتاب الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي الداء والدواء – فصل المعاصي تذهب الحياء ص68 – المكتبة الشاملة الحديثة

(73) – صحيح مسلم، في "كتاب الإيمان " " باب بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها وفضيلة الحياء وكونه من الإيمان " وأخرجه البخاري في "كتاب الأدب" "باب الحياء".

(74) – البخاري في كتاب الأدب باب إذا لم تستحي فاصنع ما شئت.

(75) – البخاري كتاب الإيمان، باب أحب الدين إلى الله عز وجل أدومه، وصحيح مسلم كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان والإيمان بالقدر.

(76) – منها: 1- في عام 1394هـ – 1974م أقيم المؤتمر العالمي الأول للسكان (بوخارست – رومانيا)، وقد اعتمدت في هذا المؤتمر خطة عمل عالمية. وفي عام 1404هـ – 1984م أقيم المؤتمر الدولي المعني بالسكان) في (مكسيكو سيتي – بالمكسيك).ثم في عام 1415هـ – 1994م أقيم المؤتمر الدولي للسكان والتنمية) في (القاهرة) بمصر.كما أقيمت مؤتمرات أخرى للأمم المتحدة نوقشت فيها بعض قضايا المرأة، من هذه المؤتمرات: المؤتمر العالمي لتوفير التعليم للجميع، والمنعقد في (جومتيان-تايلند) عام 1410هـ –1990م. ومؤتمر القمة العالمي من أجل الطفل، والمنعقد في (نيويورك – الولايات المتحدة الأمريكية) عام 1410هـ – 1990م. وغيرها الكثير /كيفية مواجهة مؤتمرات السكان العدد 232 رجب 2014، للكاتبة هدى بنت راشد الدباس و https://www.albayan.co.ukلمزيد من المعرفة ينظر المرأة في المؤتمرات الدولية د. لطف الله بن ملا عبد العظيم خوجه.http://www.saaid.net/Doat/khojah/30.htm

للوصول إلى أهدافها المرسومة بدهاء ماكر وصدق الله إذ يقول: ﴿ وَقَدْ مَكَرُواْ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴾[سورة إبراهيم الآية (46)] فصبت أهدافها عمومًا لزعزعة المرأة وتفكيك الأسرة باسم حقوق المرأة والتمكين لها، وحقوق الطفل، وحقوق الأقليات[77]... ومع تسارع ثورة الاتصالات وظهور الهواتف الذكية أنشبت العولمة مخالبها تستثمر هذه الأداة الناعمة، ولاسيما وقد تسابق إلى اقتنائها الصغير والكبير والعالم والجاهل بحجة أنها أضحت ضرورة ملحة للتواصل، وبات ما يعرف بوسائل التواصل الاجتماعي في يد كل فرد في الأسرة على الأعم الأغلب.

ومع ثورة الاتصالات المتنامية بسرعة جنونية أصبح امتلاك الهواتف ينتشر على أوسع نطاق أفقيا وهرميا، وسمح للجميع بدخول العالم الافتراضي دون أية عوائق، وما نسمع عنه من تطوير لهذه الوسائل وهي داهية كبرى تفوق ما سبق وهو أمر في غاية الخطورة إن لم نتحفز من الآن ونكون فاعلين مشاركين فيه وجادين، وهو ما يسمى بـ: (الميتافيرس) أو ما وراء التقليدي الذي أعلن عنه قبل سنة تقريبًا 2021م [78]، واستثمر النظام العولمي الفرصة في كل أداة لنشر ما يريد ومن ذلك الثقافة الاستهلاكية التي لا جدوى منها سوى ثقافة الصورة، وثقافة الإغواء والتفاهات، والاستهلاك، إنه يعمل بطريقة ذكية وناعمة لتفكيك نظام الأسرة وتقويض قيمها.

فما الثقافة التي لا يزال يعمل على نشرها منذ ثلاثة عقود أو يزيد؟ ولماذا تصر العولمة على تغيير نمط الأسرة الاجتماعي الذي سار عليه البشر منذ بدء الخليقة وحتى اليوم؟ إنها وللأسف تعمل من خلال برامج مخصصة لزعزعة قيم الأسرة، في نشئها وشبابها واستقرارها وسكنها وهدوئها وأخلاقها ومبادئها لتقوم باستبداله بأشكال مختلفة، أنماط متعددة تدعوا إلى هدم كل قيمة جميلة وخلق نبيل، تدعوا إلى نشر الذيلة والإباحية وتقنينهما، وإلى الفردانية والحرية، والخروج على نطاق الأسرة وولايتها انسحب هذا الأمر على المرأة وعلى الأبناء عموما والخروج على قانون ونظام الأسرة؛ بل دعوا المرأة إلى مصارعة الرجل الذي يدّعون أنه قهر المرأة سواءً كانت زوجة أو أختًا أو بنتا، وأخذوا يشجعونها على الخروج عن الإلف والعادة المنضبطة إلى التحرر المكذوب وإلى مساواتها بالرجل تحت مسمى الجندر والتمكين دعت العولمة إلى كل ذلك من خلال مؤتمرات تبَنّتْها أدوات العولمة وقامت بما قامت به بالتدريج لفرض إرادتها داخل الكيان الأسري شمل ذلك الأبوين والأبناء ذكورًا وإناثا[79].

لقد عقدت الأمم المتحدة مؤتمرات متعاقبة مرسومة الأهداف سلفًا دعت إليها جميع الدول على أن يلتزم الجميع بمخرجاتها والعمل بموادها غير عابئة بخصوصيات الشعوب وعقائدها وثقافاتها، إن هذه الدعوات المنهجة تحتاج حيالها وقفة جادة ليس من أفرد الناس، بل من الدولة ومؤسساتها من المنظمات الحكومية والمدنية لنقوله بلسانٍ فصيح لـ﴿كُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾[سورة الكافرون الآية(6)].

---

[77] – العولمة وخطرها على الأمة الإسلامية، عبد الرحمن الأغبري (131، 238 ، 270)،مرجع سابق، وانظر كتاب مجلة البيان – العولمة الاجتماعية للمرأة والأسرة ص34 مرجع سابق، المكتبة الشاملة الحديثة.

[78] – ينظر تكنولوجيا العالم، موقع الجزيرة، الميتافيرس بداية النهاية لعصر الهواتف الذكية، https://www.aljazeera.net/news/scienceandtechnology وانظر كل ما تحتاجونه عن الميتافيرس العربي تكنولوجيا حمزة التراوي، العربي الجديد،22أكتوبر 2021م https://www.alaraby.co.uk/entertainment_media

[79] – هدى بنت راشد الدباس،كيفية مواجهة مؤتمرات السكان والتنمية، ، عن مجلة البيان العدد 323 رجب 1435هـ، مايو 2014م.

الخـاتمة:

بعد هذا التطواف في ثنايا البحث أرجو أن أكون قد بينت الصورة التي هدفت إلى إيصالها للقارىء الكريم وإلى نتائج البحث.

النتـائج

1- من أجل بقاء الأسرة المسلمة متماسكة لا بد من المحافظة على منظومة الثوابت متمثلةً في القيم الإيجابية والتذكير بها دومًا وغرسها بشكلٍ مستمر وفي الوقت نفسه يجب التحذير من ضدها وعلى الأبوين تعهد أولادهما بين حين وآخر وفترة وأخرى بالتزكية مع استعمال الرفق غالبًا والحزم إذا لزم الأمر.

2- لا بد من وضع آداب وسن قوانين في الأسرة لضبط استعمال وسائل التواصل الاجتماعي فهي من المتغيرات الدخيلة التي تنحت في ثوابت الأمة والأسرة خاصة، بدءًا من أعلى الهرم في الأسرة وانتهاءً بالنشء والصبيان.

3-إن الوقوف بوجه العولمة فيما يخص زعزعة قيم الأسرة والمجتمع، هو نوع من الاعتداء على الثوابت فيحتاج إلى تكاثف الجهود بين الأسرة والمؤسسات الحكومية والخاصة كل في مجاله للحد من المتغيرات والعمل على نشر توعية عامة في المجتمع.

التوصيـات:

1-يوصي الباحث الآباء والأمهات بالتمسك بالأخلاق الدينية كثوابت دينية لا ينبغي التفريط بها، وتعليمها للأبناء من خلال غرس القيم الإسلامية (الأخلاق) في قلوبهم وعقولهم حتى تصبح لديهم ثقافةً وسلوكًا وتصرفات.

2- يوصي الباحث المؤسسات الحكومية والتعليمية أن تجعل مساحة هامة في لوائحها لتوعية المجنمع عامة حول أجندات العولمة وخطر المؤتمرات السكانية التي عقدت ولا زالت تعقد باسم حقوق المرأة وحريتها وتمكينها والترويج لما عرف بالجندر (النوع) لتتمرد المرأة على أسرتها وتساهم في تفكك أوصالها.

3-يوصي الباحث النخب والأساتذة في المؤسسات التعليمية أن يركزوا على بث التوعية بين طلابهم وتدريس مواد ذات صلة بالاتفاقات الدولية ومؤتمرات السكان وعقد مقارنات بين حقوق (المرأة والطفل والأقليات) في الشرعة الإسلامية والأطاريح الدولية كاتفاقية السيداو وغيرها لتتضح الصورة جليًا ومساهمةً في تأدية الأمانة كما ينبغي.

المصادر والمراجع:

1- أ.د راغب السرجاني، علاج رسول الله لمشكلة الفقر والبطالة، عن موقعه قصة الإسلام، https://islamstory.com/
2- أ.د محمد أمحزون. العولمة الاجتماعية للمرأة والأسرة للأستاذ فؤاد آل عبد الكريم.كتاب مجلة البيان [مجموعة من المؤلفين]، العولمة الاجتماعية للمرأة والأسرة، ص34 المكتبة الشاملة الحديثة.
3- أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ) تفسير القرآن العظيم لابن كثير - تفسير سورة العصر.
4- أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: 303هـ) المجتبى من السنن = السنن الصغرى للنسائي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب الطبعة: الثانية، 1406 - 1986

5- أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: 671هـ) في كتابه الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة الطبعة: الثانية، 1384هـ – 1964 م.

6- أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، ابن ماجة (المتوفى: 273هـ) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي الناشر: دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي عدد الأجزاء: 2 المكتبة الشاملة الحديثة، ص632.

7- أمير بن محمد المدري، من رسائل الإيمان (18) كيف يكون بيتك سعيداً، عن موقع صيد الفوائد، http://www.saaid.net/Doat/ameer/23.htm

8- آيات عرفات وأهمية الصدق وأثره على الفرد والمجتمع، ، عن 26 https://www.ma3reefa.com/فبراير 2020م.

9- التبريزي (741 هـ = 1340 م) محمد بن عبد الله الخطيب العمري، أبو عبد الله، ولي الدين، التبريزي: . صحيح مشكاة المصابيح للألباني، كتاب الرقائق، الفصل الثالث، المكتبة الشاملة الحديثة.

10- التويجري، محمد بن إبراهيم كتاب موسوعة فقه القلوب – فقه حياء القلب، – المكتبة الشاملة الحديثة.

11- حمزة التراباوي، كل ما تحتاجونه عن الميتافيرس العربي تكنولوجيا العربي الجديد،22أكتوبر 2021م https://www.alaraby.co.uk/entertainment_media

12- د عبد السميع الأنيس، ما حقوق الأبناء على الآباء، شبكة الألوكة، https://www.alukah.net

13- د. أشرف زاهر محمد، الحياء تاج وزينة، مجلة البيان، العدد (404)، الثلاثاء 20 ربيع الأول 1443 هـ – الموافق26/10/2021م.

14- د. جاسم المطوع، كيفية غرس القيم والمهارات في الأبناء، برنامج قهوة الصباح، حوار في تليفزيون سلطنة عمان مع الدكتور 25 مايو 2016م

15- د. زقاوة أحمد انعكاسات العولمة الثقافية على القيم الأسرية، ، العدد (86) السنة الثانية والعشرون ، شتاء 2015م / 1436هـ https://kalema.net/home

16- د. زيد بن محمد الرماني، أين مكمن الداء؟ موقع الألوكة الثقافية، https://www.alukah.net/culture

17- د. طارق عبد أحمد الدليمي، الأسرة ودورها التربوي أمام تحديات العولمة، عن موقع المنتدى الإسلامي العالمي للتربية، http://montdatarbawy.com/ (19 - يوليو – 2018م).

18- د.خالد السبت، شرح كتاب رياض الصالحين، باب زيارة أهل الخير ومجالستهم وصحبتهم ومحبتهم وطلب زيارتهم والدعاء منهم وزيارة المواضع الفاضلة

19- د.لطف الله بن ملا عبد العظيم خوجه، المرأة في المؤتمرات الدولية. http://www.saaid.net/Doat/khojah/30.htm

20- د.وليد الرشودي، التماسك الأسري في ظل العولمة، 18ذو الحجه 1429، ورقة مقدمة لندوة الأسرة المسلمة والتحديات المعاصرة –مجلة البيان، نقلاً عن محمد عابد الجابري، العرب والعولمة، ص 137.

21- سناء الدويكات، مظاهر عناية الإسلام بالأسرة، ، ١٨ مارس ٢٠٢١م. وسناء الدويكات، مقومات الأسرة المسلمة، ٤ سبتمبر ٢٠١٦ كلاهما عن موقع موضوع https://mawdoo3.com/

22- صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي الشريف، ومجموعة من المختصين، الصفات المستحبة، الصدق، كتاب نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، ﷺ موسوعة قيم أخلاق التربية الإسلامية لما أُمر به في الكاتب والسنة دار الوسيلة للنشر والتوزيع، ط1جدة 1418هـ/1998م، (ج/6 ص 2473).

23- صهيب عبد الجبار، الجامع الصحيح للسنن والمسانيد – التفريق بين الأولاد في المضاجع – غير مطبوع بحسب المكتبة الشاملة الحديثة.

24- عبد الرحمن الأوتاني أهمية الصدق في حياة الإنسان، https://sotor.com/ ٢٦ أبريل ٢٠٢١م.

25- عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: 1376هـ) تيسير الكريم الرحمن، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى 1420هـ -2000 م – تفسير سورة الأنعام – الآية 112

26- عبد الرحمن عبد الله سليمان الأغبري، العولمة وخطرها على الأمة الإسلامية من الناحية السياسية والثقافة والاجتماعية، دراسة استقرائية وصفية تحليلية، مكتبة جزيرة الورد، ومكتبة المنصورة (ط/1 2007م، ص 30)،

27- علوي بن عبد القادر السقاف، الدرر السنية موسوعة الأخلاق، أهمية الصدق في المجتمع، https://dorar.net/akhlaq/835،
28- فتوى الرد على القائلين بنسبية الأخلاق، في موقع طريق الإسلام Islam way.net بتأريخ 29-9-2020م.
29- القشيري النيسابوري، مسلم بن الحجاج أبو الحسن (المتوفى: 261هـ) المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت عدد الأجزاء: 5 [ترقيم الكتاب موافق للمطبوع، وهو ضمن خدمة التخريج، ومتن مرتبط بشرح النووي والسيوطي] مسلم، كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ووجد مؤنة، (3464).
30- مالك بن نبي، شروط النهضة، (بي دي إف) ترجمة عبد الصبور شاهين، عمر كامل مسقاوي،إصدار ندوة مالك بن نبي، دار الفكر للطباعة والنشر،بدون تأريخ الطبعة، ص(36).
31- مبارك عامر بقنه، مفهوم العولمة ونشأتها، مقال في مكتبة صيد الفوائد الإلكترونية،http://www.saaid.net/.
32- مجدي محمد مدني، وسائل محاربة الفقر في الإسلام، عن موقع https://islamonline.net/
33- محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : 1393هـ) التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس سنة النشر: 1984 هـ تفسير العصر، فذهب إلى جواز أن يفسر العصر في هذه الآية بالزمان كله، المكتبة الشاملة.
34- محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، دار الكتب العلمية، بيروت (1/ 277).
35- محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء، دار المعرفة - المغرب الطبعة: الأولى، 1418هـ - 1997م فصل المعاصي تذهب الحياء ص68.
36- محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ)،كتاب زاد المعاد في هدي خير العباد، فصل هديه صلى الله عليه وسلم في الطعام والحمدلة في آخره، وغير ذلك من الآداب. ص142 المكتبة الشاملة الحديثة.
37- محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) الطبعة: الأولى، 1422هـ ، (5090).
38- محمد بن صالح العثيمين، شرح رياض الصالحين، باب بيان جواز الشرب قائما وبيان أن الأكمل والأفضل الشرب قاعدا، وهو من رواية مسلم عن المكتبة الشاملة.
39- محمد بن صالح العثيمين، كتاب فتح ذي الجلال والإكرام بشرح بلوغ المرام ط المكتبة الإسلامية.
40- محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: 279هـ) سنن الترمذي تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ 1، 2) ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ 3) وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ 4، 5) : شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر الطبعة: الثانية، 1395 هـ - 1975 م عدد الأجزاء: 5 أجزاء [ترقيم الكتاب موافق للمطبوع، المكتبة الشاملة الحديثة.
41- محمد بن مقبل هادي الوادعي، الصحيح المسند، الصفحة أو الرقم : 1172
42- محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: 711هـ)، لسان العرب باب السين، وانظر معجم المعاني لكل رسم معنى.
43- محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى : 1420هـ)، كتاب إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل (1319) (ص 319)، إشراف: زهير الشاويش الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت الطبعة: الثانية 1405 هـ - 1985م عدد الأجزاء: 9 (8 ومجلد للفهارس) [ترقيم الكتاب موافق للمطبوع المكتبة الشاملة الحديثة.
44- محمد ناصر الدين الألباني الناشر: مكتَبة المعارف لِلنَشْرِ والتوزيْع، الرياض - المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، 1421 هـ - 2000 م عدد الأجزاء: 3 [ترقيم الكتاب موافق للمطبوع] زَكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي المنذري صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب المؤلف.
45- محمد ناصر الدين الألباني، كتاب الجامع الصغير وزيادته المكتبة الشاملة الحديثة.

46- مرشد الحيالي، الأسرة السعيدة، 2015/1/20 م- 1436/3/29هـ رابط الموضوع: https://www.alukah.net/sharia
47- موقع الجزيرة، تكنولوجيا العالم، الميتافيرس بداية النهاية لعصر الهواتف الذكية، https://www.aljazeera.net/news/scienceandtechnology
48- نسرين العبد، كيف يمكن تحقيق التماسك الأسري بين أفراد الأسرة الواحدة، للكاتبة – زياد، ١٢ نوفمبر ٢٠١٨ https://mawdoo3.com/
49- هدى بنت راشد الدباس، كيفية مواجهة مؤتمرات السكان العدد 232 رجب 2014.
50- هيثم بن جواد الحداد، ومجموعة من المؤلفين، كتاب مجلة البيان ص59 – العولمة اللغوية – المكتبة الشاملة الحديثة.
51- ياقوت الحموي، كتاب معجم الأدباء، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب ، ج5 ص 956، المكتبة الشاملة الحديثة.